المعارف

اسطورة من كفاح الجزائر

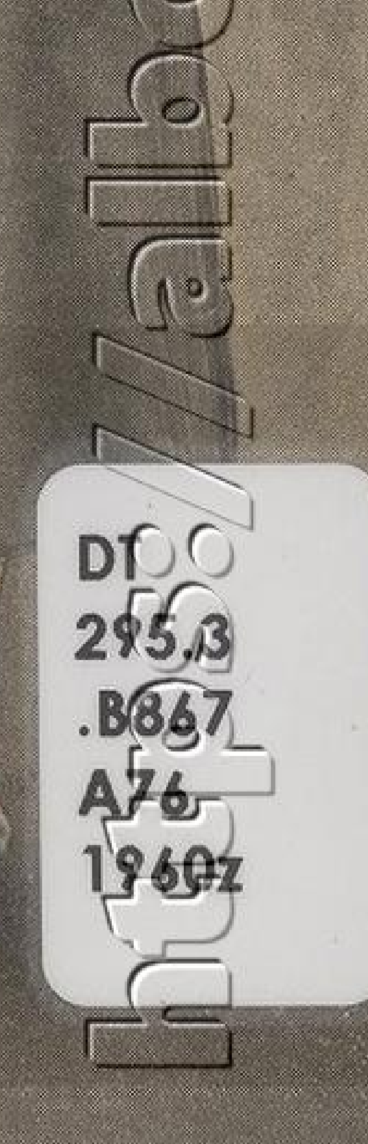
# جميلة بوحريد

تأليف

جورج أرنو

تقديم

عبد القادر حمزه



## أسطورة من كفاح الجزائر

# جميلة
# بوحريد

تأليف
جورج ارنو

تقديم
عبد القادر حمزه

# الى الضمير العالمى

الى الضمير العالمى ، وكلنا نكونه

الى كل شريف فى أى ركن من أركان هذه الارض ، ونحن كثيرون

الى كل رجل له أخت أو أم أو ابنة ، ومن منا ليس كذلك ؟

الى كل من ساطه لهب الظلم ، ظلم الانسان لاخيه الانسان ؟
بسعيره مرة ، فردا كان أو شعبا

الى كل من عرف الحزن طريقه الى قلبه فاعتصره

الى كل من أسبغ الله عليه نعمة الشعور متميزا عن الجمود

الى كل هؤلاء ، والدنيا ليست خلوا منهم

أقدم لهم أسطورة « جميلة »

جميلة بوحريد ، أسطورة الشباب ، أسطورة البراءة ، أسطورة الطهر

جميلة بوحريد ، أخت كل منا أو ابنته

جميلة بوحريد ، الشابة الجزائرية التى أحبت وطنها ، فأعطته من كل ما تملك ، لقدعذبت واهينت واذلت وظلمت ، ولكن الحقد لم يعرف طريقه الى قلبها الطاهر ، فهى لا تملك للذين عذبوها وأهانوها وأذلوها وظلموها غير كلمات الرثاء :

« ان الذين عذبونى هكذا ، لا يملكون أن يذلوا الانسان ماديا ، كما فعلوا فى جسدى ، وروحيا ، كما فعلوا فى نفوسهم »

جميلة بوحريد ، الاسطورة التى سيدونها التاريخ فى صفحات كفاح الشعوب بأحرف من نور ونار ، وسيدونها فى صفحات الظلم والخسة بمزيج من الخزى والعار

استمع الى أسطورة كفاح الشعوب فى القرن العشرين من أجل الحرية :

« أيها السادة ، اننى أعلم أنكم ستحكمون على بالاعدام ، لان أولئك الذين تخدمونهم يتشوفون لرؤية الدماء

« ومع ذلك فأنا بريئة »

ثم استمع اليها :

« اننى أحب بلدى وأريد له الحرية

« وستحكمون على بالاعدام ، لهذا وحده ، بعد أن عذبتمونى ،

ولهذا وحده ايضا قتلتم اخوتى »

واستمع الى الاسطورة تنذر جلاديها :

« ولكنكم اذ تقتلوننا ، لا تنسوا أنكم بهذا انما تقتلون تقاليد الحرية ، ولا تنسوا أنكم بهذا انما تلطخون شرف بلادكم ، ولا تنسوا أنكم لن تنجحوا أبدا فى منع الجزائر من الحصول على استقلالها »

ولقد عذبت الشابة الصغيرة التى لم تتجاوز العشرين من عمرها ، نفذت الرصاصة من كتفها الى صدرها فأعجزت ذراعها عن الحركة ، وضربت ولكمت وجردت من ملابسها وهددت فى عرضها بجندى سنغالى ، وكويت بأسلاك الكهرباء فى جميع فتحات جسدها ، واحرق فخذاها وراحتا يديها

ووهنت قوى معذبيها ، وأصابهم نفاد الصبر ، ولم يرد الله الصبية المؤمنة به وباليوم الآخر ان تهن او تضعف منها القوى ، لقد صمدت لهم كالطود ، فكانت بفضل الله هى الاقوى ، فليس لديها لهم سوى الرثاء لارواحهم التى أذلوها بأيديهم

وصدقت جميلة فى كل كلمة نطقت بها ، وكأن القدر وضع العبارات على لسان الفتاة التى ظلت فى مدرستها تتعذب كلما

سمعت بفجيعة نزلت بقومها وهم فى كفاح الموت من أجل حياة الوطن . فكان أول ما فعلته حين خلفت أيام المدرسة وراءها ان انخرطت فى سلك المكافحين لتحرير الوطن ، وهل فى الدنيا أعز من الوطن ؟

وما هو الوطن ؟

هو أرضنا الطاهرة ، وهو سماؤنا من فوقنا ، وهو أهلنا ، اخوتناوأخواتنا وأبناء عمومتنا ، وهو طعامنا ، وهو ماؤناوهواؤنا

هو بقعة مقدسة تعيش فى قلوبنا ابدا ، تستولى على مخيلتنا أبدا ، تسرى فى دمائنا أبدا

اننى أحب بلدى وأريد له الحرية ، كلمات بسيطة نطقت بها فتاة بسيطة ، لا تصطنع البلاغة ولا تصطنع الوطنية ، نطقت بها وهى تواجه الموت مؤكدأ ، بعد أن ذاقت أشد ألوان القسوة ، وكم من قلب لرجل انخلع وهو يواجه احتمال التعرض للقسوة ، كم من قلب انخلع فباع وطنه وبلاده واخوته وبنيه

ولم ينخلع قلب جميلة ، وذراعها شبه معلقة الى كتفها ، وفى صدرها جرح بلفظ الصديد ، وعلى جسدها كله آثار الكى بالكهرباء ، لم ينخلع اقلب الفتى الغض ، وانما ...

اذ نطق القاضى الفرنسى بالحكم .. بالاعدام .. تحت نصل المقصلة ... لم تزد الفتـــاة الصغيرة على أن ضحكت ... نعم ضحكت ...

فقد كانت تعلم ...

ثم واجهته مرة أخرى : ان ميشيل فيشوز ، الفرنسى ، ألقى فى حى القصبة قنابل ، قضت على خمسين مسلما ، ولم تمس شعرة واحدة فى رأسه ، أما وقد تعرض الفرنسيون للخطر من حوادث مماثلة ، فلابد أن يذوق أحد المسلمين - أيا كان - الموت ، ولقد اختارتنى الصدفة وحدها لان أكون الضحية

« ومع ذلك فأنا بريئة »

وكانت صادقة ... فلم تشترك فى حادثة واحدة من حوادث القاء القنابل ، وانما نسب اليها ذلك زورا وبهتانا ، بل لقد نسب اليها اعتراف بذلك يحمل توقيعا مزورا لها ، فلمـا طلبت عرض التوقيع على خبير خطوط رفض القاضى !

والدليل ؟

لقد عذبت جميلة بوحريد لتدلى لمعذبيها بمكان اختفاء زعماء جبهة التحرير الوطنى ، وكانت تعرفه ، فهى افضـــل رسلهم ،

ولكنها لم تعترف بشىء ، حتى حين سقطت تهذى بعد ليلة كاملة من الكى بالكهرباء

فكيف يصدر منها اعتراف آخر يحمل توقيعها بشىء ينسب اليها هى أنها قامت به ؟

ولكنها الدماء التى كانت تتشوف اليها جماهير الفرنسيين ، وهى تصرخ فى قاعة المحكمة : الموت ... الموت

ولم ترهبها هذه الصيحات المحمومة تصدر من جماهير ملأ قلبها الحقد فأعماها ، لم ترهب جميلة هذه الصرخات تتعالى من كل ركن فى قاعة الجلسة ، وانما واجهت الجميع : انكم بهذا تلطخون شرف بلادكم ، ولن تنجحوا أبدا فى منع الجزائر من الحصول على استقلالها

ومرة أخرى ، خرجت الكلمات البسيطة من بين شفتى الفتاة الغريرة ، قوية ، مدوية ، صادقة ... أنهم لن ينجحوا أبدا فى منع الجزائر من الحصول على حريتها

وهذا الكتاب ...

ليس هذا قصة ، ولا هو محاولة قصصية ، بل ولا هو حتى تحقيق صحفى ، وان كان الذى كتبه صحفى ... صحفى فرنسى

انه جملة حقائق ، حقائق فاجعـة فى جملتها وفى تفاصيلها ، لا تربطها حبكة من حبكات القصص أو حتى الحكايات ، فهى حقائق وحسب ، ولهذا خلت حتى من التقسيم العادى الذى تعرفه الكتب الى فصول تحت عنوانات تجتمع فيها الاثارة الى التشويق

وهو ليس مجرد دفاع عن جميلة بوحريد ، فان زملاء جميـلة وزميلاتها الذين حكم الفرنسيون عليهم بالاعدام كثيرون

وانما هو مأساة ، أو سمه فاجعة ، هو مأساة أو فاجعة الانسانية حين تشتد أزمتهـا فلا تعرف لنفسها كرامة ، ولا شرفا ، ولا حتى حيودا لهاوية الوحل التى تتردى فيها .

عبد القادر حمزة

في يوم ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٥٦ ، انفجرت قنبلة لاول مرة فى الحى الاوربى بمدينة الجزائر ، انفجرت فى مقهى يقع فى قلب الحى أسمه « ميلك بار »

ثم وقع الانفجار الثانى والثالث دون أن يفصلهما من الوقت سوى ثوان قليلة يوم ٢٦ يناير من سنة ١٩٥٧ فى « الكافيتريا » وفى مقهى « الديك الجرىء » .

وأسقطت القنابل الثلاث ثلاثة من القتلى .

ومهما يكن ايمانك بأن الموت ليس سوى ثمن تافه لما سبقه من حوادث القتل ، فلابد أن يكون قلبك من حجر اذا أصابتك الدهشة لصيحة الثأر والانتقام التى انبعثت من رماد هذه الجثث الثلاث ، ولن تستطيع أن تطلب من القضاة بعدئذ الا أن يتوخوا النزاهة فلا ينزلوا عقابهم الا بمرتكبى الحوادث

***

فى يوم ٢٦ ابريل سنة ١٩٥٧ وجدت جميلة بوحريد ، الفتاة التى لا تتجاوز الثانية والعشرين من العمر وهى تحمل اوراقا هامة موجهة من جبهة التحرير الوطنى الى ياسف السعدى وعلى لابوانت وفى هذا اليوم حطمت احدى الرصاصات كتف الفتاة الشابة وهى تعدو أمام دورية فرنسية فى حى « القصبة » .

وحملت جميلة الى المستشفى واسعفت بالعلاج وكانت لا تزال طريحة منضدة العمليات الجراحية حين أستجوبت للمرة الاولى .

وبعد هذه اللحظة استمر التحقيق مع جميلة بوحريد سبعةعشر يوما ، وقد أجرى فى أماكن متعددة من أنحاء المدينة وضواحيها ، واخيرا ، حين تقرر حبسها فى سجن المدينة الرسمى ، شكت جميلة من المعاملة التى لقيتها على أيدى العسكريين ، ومن فظائع التعذيب التى أرتكبت معها .

ومضى شهر ، واخيرا فحصها الطبيب ، فوجد على جسدها آثارا عديدة للتعذيب ، ولعل المرء كان يرضى بالتقرير الذى خلا من ذكر شىء عن الحروق الجسدية التى أحدثها التعذيب بداخل أعضاء جميلة التناسلية أو على أطراف ثدييها ، وهى الحروق التى ذكرتها جميلة بوضوح فى شكواها ، لعل المرء كان يشعر بالراحة لخلوالتقرير من ذكر هذه الحروق لو لم يكن لتفصيل واحد يقضى على كل قيمة قد يحب المرء أن ينسبها لتقرير الطبيب

شكت جميلة من أن ما لقيته من ألوان الضرب لم يسمح للجرح الذى نتج فى صدرها من عملية استخراج الرصاصة التى حطمت كتفها ونفذت من العضلات حتى صارت اقرب للصدر منها الى

الظهر ، لم يسمح الضرب المستمر الذى تعرضت له جميلة لهذا الجرح بالالتئام ، فظل على الدوام مفتوحا يلفظ الصديد مخلوطا بالدماء ، بينما قيد لجرح الكتف ـ وقد أصاب عضلات أقل حساسية ـ أن يلتئم

وقال الطبيب الخبير ، وهو يشخص هذين الجرحين : ان جرح الصدر تخلف عن « بثرة حديثة نتيجة لاصابة درنية » ، أما جرح الكتف فقال انه « تخلف عن بثرة قديمة التامت نتيجة لاصابة درنية »

وماذا نسمى هذا التشخيص ؟ أهو عجز من الطبيب ؟ أم ترى هل أصابه العمى ؟ وأيا كان ما أصابه فانه يقضى على تقريره ، وهكذا يبقى شىء واحد هو الذى يمكن تصديقه ، وهو قول الضحية :

« منذ يوم ٩ ابريل حتى يوم ٢٦ ابريل جرى استجوابى وتعذيبى بصفة مستمرة لا تنقطع فى المستشفى العسكرى ثم فى المنزلين اللذين اعتقلتنى فيهما قوات المظلات ، وتعرضت لمدة ثلاثة أيام ـ ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ابريل ـ لعذاب الكهرباء ، فقد وضعت الاسلاك الكهربائية فى أعضائى التناسلية ، وفى فتحتى أنفى ، وفتحتى أذنى ، وتحت ابطى ، وعلى طرفى ثديبى اللذين لا يزالان يحملان آثار الكى ، وعلى فخذى وهما لا يزالان يحملان علامات الكهرباء ، ولقد استمرت هذه العملية فى الليلة الاولى ـ ليلة ١٧ ، ١٨ ابريل ـ من الساعة التاسعة من المساء حتى الساعة الثالثة من صباح اليوم التالى ، حين أغمى على وصرت أهذى »

ولم تعقب جميلة بوحريد على هذه الوحشية الا بجملة واحدة :

« ان الذين عذبونى هكذا لا يملكون أن يذلوا الانسان ماديا ، كما فعلوا فى جسدى ، وروحيا كما فعلوا فى نفوسهم »

ولئن كان لنا أن نصدق هيئة التحقيق ، فان هدفها من استجواب أجروه بهذه الطريقة ، كان هو محاولة التوصل الى اعترافات تحمل فى طياتها معلومات عن حوادث القاء القنابل ، ولقد قيل ان هناك محضرا يحمل مثل هذه الاعترافات ، ولكن ما من أحد عرف هذا الا عن طريق نسخ منسوخة للمحضر المزعوم ، فأما المحضر الاصلى الذى يحمل توقيع جميلة بوحريد فلم يره أو يطلع عليه أو يدرى حتى بوجوده أحد حتى يوم الحكم

وكان من حق جميلة أن تقول انها لم تعترف بشىء أو توقع شيئا ؟ فأما النسخ المنسوخة من الاعتراف المزعوم فلم تكن سوى مبتكرات مخترعة .

قالت جميلة : ان جنود المظلات عذبوها ليعلموا منها أين كان ياسف السعدى وعلى لابوانت مختبئين ، وكان هذا منطقيا ، فقد وجدوا معها خطابات موجهة اليهما ، ولكن من اين نبعت لديهم فكرة الالحاح عليها ، ليس بشأن هذه الخطابات ، وانما بشأن حوادث القنابل ؟

لقد أضافت جميلة أن برهانها على أنها لم تعترف بشىء أن ياسف السعدى وعلى لابوانت لا يزالان طليقين مع أنه ما من شك فى أنها كانت تعرف كيف تعثر عليهما ، ولم تكن هى الوحيدة التى حقق معها ، فقد قبضوا على أخيها الصغير الذى لم يتجاوز الحادية عشرة من عمره ، وكانوا يأملون فى أن يكشف لهما الصبى عن المخبأ ، فلعلها

أرسلته يوماليه ببعض الخطابات . اذ لم يكن فى استطاعتها أن تقوم هى بالمهمة ، وكذلك قبضوا على ابن أخى ياسف وهو فى الرابعة عشرة من عمره ، ولم يدل أى من الصبيين بأية معلومات .

***

وعين لها محام كما يقضى بذلك القانون ، ولكن المحامى علم بمحض المصادفة ، وهو يسأل أبوى جميلة فى صباح يوم ٢٦ ابريل ، أن جميلة كانت فى هذا اليوم مقدمة لقاضى التحقيق ، واذ أسرع مهرولا الى مكتبه علم أن القاضى لم يعبأ بالاجراءات المتبعة ، فمضى بعد أن سألها من شخصيتها فى سؤالها عن موضوع الاتهام دون أن يكون المحامى المعين الى جوار موكلته

وكانت جميلة قد افلتت لتوها من ايدى جنود المظلات ، ولم تكن تعلم ان لديها محاميا ، ولعلها ، وقد تخلت عن الامل فى عالم همجى لا يريد لها سوى الهلاك ، أسلمت نفسها لمصيرها .

واذ وقعت عينا الاستاذ فيرجيس ( المحامى ) عليها لاول مرة هذا الصباح ، راعه أن يرى تحت آثار التعذيب وجها تخلت عنه كل رغبة فى الحياة ، ولعلها لم تر فى الرجل سوى عدو آخر ، وقد يكون من بين أعدائها آخرهم .

على أنها لم تكد تسمع الكلمات الاولى التى تبودلت بين محاميها وبين القاضى حتى تغير كل شىء أمامها ، فقد علمت من حوارهما أنها لم تعد وحيدة .

كان الاستاذ فيرجيس يرغب فى شىء واحد ، هو ان يتأكد من أن محضر التحقيق تضمن وصفا أمينا لكل قول أدلت به المتهمة قبل حضوره .

فأما المحضر فلم يكن حتى تلك اللحظة يتضمن سوى عشرة أسطر، اعترضت جميلة على السطر الاخير منها بينما كانت الاسطر التسعة الاولى تذكر شمسا ساطعة وفناجين من القهوة تحتسى فى شرفة جميلة ، بينما كان السطر العاشر يتضمن « اعترافا » بصنع القنابل!

ولقد كان طلب المحامى قراءة الاسطر العشرة ، وهو ما ادى الى اعتراض جميلة على السطر العاشر ، عملا قانونيا يتمشى مع واجبات الدفاع ، ولم يضع الطلب هباء ، ولكن القاضى راح يتهم المحامى بالخبث فاندفع يسب ويشتم .

وقرر القاضى تأجيل التحقيق حتى الساعة الثالثة بعد ظهر اليوم نفسه ، ولما كانت قوانين السجن تقضى بعدم السماح للمحامى بالاتصال بموكله فيما بين الساعة الثالثة والرابعة بعد الظهر ، فقد طلب المحامى من القاضى أن يمنحه اذنا خاصا بذلك ، على أن القاضى وهو الذى حدد موعد استئناف التحقيق ، رفض الطلب

وعاد المحامى يطلب تأجيل التحقيق حتى الرابعة بعد الظهر ؟ ولكن القاضى رفض هذا الطلب أيضا ، وهنا اعلن الاستاذ فيرجيس أنه يتردد — فى هذه الظروف — بوحى من ضميره فى أن يخلع بحضوره الصفة القانونية على اجراءات لا تحترم فيها حقوق الدفاع

وقال القاضى : ليس لهذا أهمية ، فسأمضى فى تحقيقى منذ الآن بدونك !

قال المحامى : اذن اننى أطلب منك يا سيدى القاضى أن تتكرم بأن تسجل فى محضر الجلسة جواب موكلتى على السؤال الآتى الذى أرجو أن تطرحه عليها : هل تقبل موكلتى أن تمضى فى الاجابة بدونى ؟

القاضى : لا ... لن أسأل هذا السؤال !

وحدثت مشادة ، وحتى ينهى القاضى المسألة طرح السؤال على المتهمة ، فكان جوابها أنها ، وقد صار لها من يدافع عنها ، لا تعتزم الاجابة الا اذا كان موجودا

وقال القاضى : اذن سأنتظر حتى يسافر المحامى الى باريس ، ثم أستجوبك ، وأظن أن المسألة مسألة بضعة أيام

ورد الاستاذ فيرجيس قائلا : وأنا سأقدم من باريس كلما تطلب منى الامر ذلك

فقال القاضى : فأما من ناحيتى فسأضع موكلتك فى «الحجز السرى»

المحامى : لا يوجد ما يسمى « بالحجز السرى » فيما يختص بزيارات المحامى للمتهم

القاضى : انك على الاقل ستحتاج الى اذن خاص بذلك

وانتهى النقاش وخرج الجميع متواعدين على استئناف الجلسة

بعد الظهر ، ولا شك فى أن القاضى رجع الى كتب القانون ومؤلفاته فى خلال الفترة السابقة على جلسة بعد الظهر ، فقد حصل الاستاذ فيرجيس على الاذن الذى طلبه

وفيما يختص بالاتصال بين المتهم والدفاع عنه أود أن أضيف أن من الامور التى تدعو للدهشة أن المحامى منع من توجيه أى حديث الى موكله خلال الجلسات العلنية

والواقع أن من العبث البحث فيما قرره القاضى فى هذا الشأن فقد نظرت محكمة النقض حالات مماثلة ، وكان آخر قرار أصدرته فى سنة ١٨٢٢ حيث قضت بأن الاجراء الوحيد هو ما يتعلق بالامن أثناء الحديث الذى يدور بين المتهم ومحاميه خارج أسوار السجن وخاصة فى المحكمة ، والواقع ان الامر كان يتعلق بحضور احد الحراس اثناء الحديث ، لا بحظر الاتصال ، ذلك الخطر الذى لم يخطر على بال احد .

استمر استجوا بجميلة بوحريد متجها ضدها كما بدأ ، وكان القاضى بين الآونة والاخرى يحاول تسلية الجماهير التى طغى عليها الملل بسبب تضارب الاقوال فكان من آن لآخر يلقى بكلمة فى فلسفته القانونية ، فقد قال مرة مثلا :

ـ انهم يلقون القبض على الاطباء الذين يعالجون الثوار ، وكان الاولى أن يقبضوا على المحامين الذين يدافعون عنهم

هل قال انه كان الاولى أن يقبض على المحامين ؟ .. لعلها مزحة سخيفة ، فالواقع أن أعضاء نقابة المحامين الجزائريين الذين ألقى القبض عليهم بسبب نشاطهم المهنى ، اعتقلوا اداريا ، وليس بناء على أحكام من المحاكم

ومع ذلك فيبدو أن نكتة القاضى لم تكن مجرد مزحة ، بل كانت شيئا جديا اذ ان الاستاذ فيرجيس والاستاذ جونيراوالاستاذميشيل موتيه نجوا من الموت شنقا على قارعة الطريق بأعجوبة

***

**كانت** النيابة والدفاع يتوقعان أن يستغرق التحضير لعرض القضية أمام المحكمة حتى شهر سبتمبر ( ١٩٥٧ ) ولكن الواقع أن كل شيء تغير فى أسبوع واحد ، ففى ٢٧ يونيه أعلن قرار تحديد الجلسة وفى ٢٩ يونيه أجل الموعد وفى ٦ يوليو تلقى المحامون الباريسيون اعلانا بأن القضية ستنظر فى ١١ ، ١٢ ، ١٣ من الشهر نفسه

وكان هذا التسرع داعيا الى الدهشة ، بل الواقع أنه كان مخيفا ، ولكن قد يكون من مبرراته البارزة أن قنبلة جديدة انفجرت فى أحد المراقص بضواحى الجزائر فى يوم أحد ، وأن الدماء الحارة التى أريقت صرخت تطلب الانتقام بدماء مثلها

على أن من المريع حقا أن السبب الحقيقى فى هذا التغيير المفاجىء الذى طرأ على موعد نظر القضية هو سبب لم يظهر الا فيما بعد ، فلو أن القضية نظرت فى شهر سبتمبر لما تيسر للمحكمة أن «تكلفتها»

كما تريد نظرا لاتفاق هذا الموعد مع موعد اجتماع الجمعية العامة للامم المتحدة .

***

والآن وقد انتهى التحقيق ، وأوشكت المحكمة أن تنظر القضية ، ما الذى يوجد فى هذه القضية ضد جميلة بو حريد ؟

وحتى نستطيع الجواب ، فلابد من أن نسرد قصة «طالب»

كان طالب كيماويا فى صفوف جبهة التحرير الوطنى يصنع المفرقعات ، فهل كذبوا عليه ، أم أنهم لم يقولوا له شيئا ؟ اما هو فكان مستريح الضمير الى انه يخدم وطنه ، بينما الوطن فى حرب، كان طالب يعتقد أن المفرقعات التى يصنعها تستخدم فى عمليات حربية ضد الجنود الفرنسيين ، ولكنه اكتشف يوما انها تستخدم لارهاب سكان المدن حيث تختار الصدفة وحدها ضحاياها ، ومهما يكن الرأي فى القتل ، وبالتالى فى قيمة ماقام به طالب من تصرفات، ففى دوسيه قضيته مايثبت أن وقوفه على الحوادث التى استخدمت فيها مفرقعاته صدمه وصدم ضميره صدمة كادت تقضى عليه .

وترك طالب أنابيبه وموازينه وارتحل لينضم الى قوات «الماكى» حتى يجد فى الحياة اليومية للجندى ماقد يجعله ينسى الدور الذى قام به دون أن يدرى فى ذلك اللون الآخر من ألوان الصراع ، ولكن شجاعته خانته فلم تترك له من العزم مايستمر به فى القتال من أجل قضية آمن بها وكان لايزال يفخر بايمانه بها ، وفى النهاية استسلم

لجنود المظلات واعترف .

وحين سلم طالب للنيابة ، وقف يؤكد امام قاضى التحقيق اعترافاته الأولى ، وبرغم أنه كان يعلم أن مصرع شخص واحد نتيجة لحادث قنبلة المقهى يكفى للحكم عليه بالاعدام ليس مرة واحدة بل بضع مرات ، برغم هذا فقد اعترف بكل شىء ، وانما أنكر شيئا واحدا ، جملة واحدة ، جملة جاء فيها ذكر جميلة بوحريد ، واتهم جنود المظلات ، أمام قاضى التحقيق ، بأنهم أضافوا هذه الجملة من عندياتهم ... بينما صمم على اعترافاته السابقة .

ان رجلا يقول : « هذا الذى ستقطعون رقبتى من أجله سريعا . لقد قلته ، أما ذلك ، الذى لن يكون له أي أثر أو عاقبة بالنسبة لى ، والذى يتصل بشخص ليس لى من صلة به سوى صلة الأخوة فى الفكرة ، أما ذلك ... فلم أقله »

رجل يقول هذا ... من الذى يجرؤ على أن يتهمه بالكذب ؟

***

وهناك أيضا - ضد جميلة بوحريد - اعتراف من زميلتها فى الاتهام جميلة بوعزة ، وهى التى وضعت القنبلة فى مقهى « الديك الجرىء » ، اذ اعترفت بأن جميلة بوحريد هى التى أعطتها القنبلة ، وقد أكدت أمام قاضى التحقيق الاعتراف الذى كانت قد أدلت به لجنود المظلات ، وفى الوقت نفسه أكدت أن العسكريين لم يمسوها وهم الذين قبضوا عليها واستجوبوها .

ويبعث القاضى بها الى السجن ، وبعد شهر ، تعود فتنكر اعترافاتها ، قائلة : لقد كذبت فان خطيبى هو الذى أعطانى القنبلة وقد اتهمت جميلة بوحريد لأنقذه .

ويمر بعض الوقت ، وتعود جميلة بوعزة الى اتهامها الأول لجميلة بوحريد ، والنتيجة طبعا أن جميلة بوعزة كذبت على الأقل فى واحد من الاتهامين : ضد خطيبها او ضد جميلة بوحريد ، ولقد فعلت هذا بمطلق حريتها ، فان جنود المظلات ، على حد قولها ، استجوبوها دون أن يمسوها باي اذى ، وطبقا للقانون تصبح شهادة كهذه عديمة القيمة .

***

وحتى أنتهى من الخطوات التى سبقت المحاكمة ، اود ان اذكر امرا واحدا يثير الدهشة وهو أن أوراق القضية تضمنت فى الصفحات الأخيرة منها توجيه الاتهام الى فتاة تدعى ريموند بيشار ولم يكن لضم ريموند بيشار الى قائمة الاتهام هنا أي داع معقول ولو كان تافها ، ولا كان من القانون فى شىء بل انهم فعلوا اكثر من هذا ، فهم اذ راحوا يضمون اتهام ريموند بيشار - وهى العاملة فى صفوف الحزب الشيوعى الجزائرى - الى قضية جميلة لم يكتفوا بريموند، بل زجوا معها بالحزب الشيوعى كله .

وكانت الطريقة معروفة ، وكذلك كانت الخطة التى تطبق على الجزائر بصفة خاصة معروفة ، فقد ظلت تستخدم شهورا طويلة لتبرر أشياء عديدة ، وهكذا كان متوقعا أن تفضح قضية القنابل

كثيرا من الامور التى ظلت حتى هذا الوقت غامضة مبهمة ، والواقع أن المتهمين فى هذه القضية كانوا رموزا ترمز للكثير ، كانت جميلة بوعزة مثلا تمثل ـ فى نظر القضاة ـ حركة الارهاب فى المدن ، بينما كان ياسف السعدى وعلى لابوانت ـ وكانا يحاكمان غيابيا ـ معهما جميلة بوحريد ، كان الثلاثة يمثلون الصراع المسلح الذى تقوم به الجزائر ضد فرنسا ، فأما ريموند بيشار فلقد كانت جزائرية أوربية ولم تكن بهذه الصفة موضع الشبهات ولكن ريموند بيشار الشيوعية الجزائرية كانت شيئا آخر اذ قدمت بصفتها هذه المبررات لتبرير حملة الاعتقالات والاتهامات .

ونحن هنا نرفض التعليق على هذا فليس الغرض من هذه الصفحات غرضا سياسيا ، وانما مانرمى اليه هو فضح أساليب التشويه والتزوير التى كان لها القدر المعلى فى فضيحة قانونية من فضائح العدالة اخذنا على عاتقنا مهمة نشرها .

اننى لاصر على استخدام كلمة العدالة ، أو على الأصح كلمة الظلم ، بل الظلم الفاجر ، وهل يملك أحد أن يلومنى اذا كنت قد قرأت مؤلفات « لابروير » وانا فى الخامسة عشرة ، ومازلت وانا فى الاربعين أعتنق قوله : ان حادثا واحدا من حوادث الظلم يرتكب ليعنى كل شريف على ظهر الأرض .

اننى لا اعرف عددا كبيرا من الشرفاء الذى يختلفون معى اختلافا بعيدا فى الرأي ، فاليهم والى غيرهم كثيرين ممن لا أعرفهم أهدى هذا الكتاب كما أهديه لكل من يدفعه فضوله الى تقليب صفحاته ،

وفيما يتصل بالشرف والنزاهة ، اننى لأطلب من الجميع أن يحكموا بأنفسهم دون مانظر الى معتنقاتهم السياسية فان الذين اطلعوا على القضية من قبل يخلعون على معانى الشرف والنزاهة غلالة من الشك

لقد ضم اسم ريموند بيشار الى قضية جميلة بوحريد نتيجة خلط غريب فى أوراق القضيتين ، وجدت ريموند على اثره نفسها متهمة فى قضية جميلة دون أن يستجوبها قاضى التحقيق ، بل انها لم تظهر فى المحكمة اطلاقا ، وكان آخر ماعرفه أصدقاؤها عنها هو أنها سقطت فى ايدى جنود المظلات ، وقبل نظر القضية بعدة أيام علموا من جريدة « صدى الجزائر » أنها ماتت ، بينما صرح قاضى تحقيق قضية القنابل للجريدة بأن تهمة ريموند قد « ألغيت »... « بعد الوفاة » .

ومما لاشك فيه أن هذا التعبير من الناحية القانونية سخيف ؟ ومع ذلك فليس بمستغرب هناك ( فى الجزائر ) ان يخطىء القاضى وهو يخبط وسط ظلال عديدة وجثث وأشباح ومتهمين لم يرهم ولن يفعل ..

على ان هذا التراجع - من جهة القاضى - الذى حدث متأخرا ؟ كان على الأقل مفيدا فى قضية أخرى نظرت بعد قضية القنابل بثمانية أيام وهى قضية « المسيحيين التقدميين » اذ أفاد فى تبرئة سيدتين شريفتين من تهمة جنائية اذ لجأت اليهما ريموند بيشار

قبل سقوطها فى قبضــة جنود المظلات بقليـل ، فخبأتاها « وهما تعلمان » ـ كما قالا فى المحكمة امام الجمهور ـ « انها ( اى ريموند ) لو اعتقلت لعذبت حتى الموت » .

وهكذا كانت جريمتهما أنهما تكهنتــا بالموت ، فلمــا أعلنت براءة ريموند بيشــار وماتت ، لم يعد هناك داع لاتهــام السيدتين ... وكانت المحكمة كريمة معهما فبرأتهما !

***

كان على المحكمة أن تستخلص فى أربعة أيام ومن الملف الخــالى لقضية القنابل أربعة أحكام بالاعدام وثلاثة أحكام بالأشغال الشاقة، أحدها لمدى الحياة ، وحكما بالسجن ، بل وحكما بالبراءة ، وذلك دون أن نعد الغائبين من المتهمين .

كان على المحكمة أن تمضى فى المحاكمة بقسوة أيام ١١ ، ١٢ ، ١٣ يوليو على أساس هذا الملف الخالى .

وعرض الأستاذ ايف أمبلار المحامى الباريسى المعروف على زملائه المحامين أن يقدم الى الجزائر ليساعدهم فى مهمتهم ، ولمــا لم يكن متتبعــا للتحقيق او مطلعا على الملف فقد قــدر انه يســتطيع ان يلم بما فيه لو منح يوما واحدا تتأجله المحاكمة ، واذ بعث الى رئيس المحكمة العسكرية الدائمة بالجزائر مسيو روانار خطابا ثم برقيــة

تتضمن هذا الطلب المتواضع ، لم يعن رئيس المحكمة حتى بالرد .

واذ رفض رئيس المحكمة طلبا مماثلا من محام آخر ، راح يعلن أن لابد من نظر القضية فى مواعيدها فلابد من الانتهاء منها يوم ١٤ يوليو ..

لماذا ؟... لم يعن مسيو روانلو بالتفسير

افتتحت المناقشات فى الساعة المحددة من اليوم المحدد ، وقد يكون من غير العادى ، ولو أنه ليس مستحيلا ، ان عناصر القضية المادية لم تزد على اوراقها وحوافظها .. نعم كانت هناك اوراق ولكن لم يكن بينها شىء ذو قيمة ، ولعل من الغريب كذلك - بالنسبة للمحاكم فى الجزائر - أن المحامين الذين قدموا من باريس استعدوا لتأدية مهمتهم استعدادا جديا فلم يبد عليهم أنهم راغبون فى تأدية الدور المعتاد ، دور الظهور بمظهر من يضطر رغما عنه الى تسليم رقاب موكليه الى الجلاد ، ومن هنا كان من السهل توقع النتائج .

والواقع ان كل شىء بدأ فى صباح ١١ يوليو ، وكان أول مافعله المحامون هو أنهم طلبوا استبعاد التحقيقات التى قامت بها قوات المظلات من ملف القضية على اساس الشبهات التى كان يسلم بها كل انسان حول أساليب هذه القوات فى التحقيق ، ولقد قدم هذا

الطلب دون كبير أمل فى قبوله ، ثم رفضته المحكمة بالفعل ، على انني لا أخطىء كثيرا اذا قلت ان غرض المحامين من طلبهم هذا المرفوض كان فى الواقع اثبات الشكاوى التى قدمت من المتهمين على اثر ماتعرضوا له من تعذيب، وكذلك تسجيل التحقيقات التى اجريت بشأن هذه الشكاوى .

ولكن المحكمة ردت على هذا أيضا بقرار رفض جديد

ولم يحدث مرة واحدة أن لقى أحد طلبات الدفاع من المحكمة النجاح ، ولم يحدث مرة أن وجد الاتهام من المحكمة معارضة فى طلباته ..

***

وبعد عدة أسابيع واجه محام آخر قادم من باريس رفض محكمة أخرى طلبه استبعاد اعترافات حصل عليها جنود المظلات من متهم، وفى هذه القضية قال قوميسير الحكومة ان الطريقة التى تؤدى الى اعتراف المتهم ليست فى حد ذاتها بذات أهمية ...!

ومما لاشك فيه أن هذه نظرية غير مقبولة ، وانما كان الامل فى تعديل حكم صدر على أساس هذه النظرية مستبعدا ، ومع ذلك فقد فعلت محكمة النقض العسكرية الجزائرية هذا ، وكان الفضل فى هذا التعديل للكفاح الذى قام به الاستاذ فيرجيس والاستاذ جوتيرا والاستاذ موتيه وهم يدافعون عن جميلة وعن طالب وعن

حامنيد فى قضية القنابل كما كانوا يدافعون أيضا عن القانون نفسه

ان ماستقرأونه الآن هو قصة هذا الكفاح ، والواقع ان المرء ليشك شكا كاملا فى أن القضية نظرت أمام مسيو زوانار القاسى برغم أن هذا الأخير مؤمن بالطبع بأنه نظرها حقا ، ودليله على ذلك أنه أصدر أحكامه بالاعدام يوم ١٥ يوليو اي فى اليوم التالى لعيد الحرية ، وفى هذا بالطبع نحن نختلف .

***

لم تكن هذه اجراءات نظر قضية وانما كانت مهزلة أو صورة مشوهة لها ، يحدونى الأسى وأنا أدونها ، ويثقل قلبى الحزن وأنا أصفها .

ولو أن المرء خلع عن نفسه رداء الحياء الزائف لواجه الحقائق ، ولعرف أن الذين اختارتهم فرنسا لخدمتها هم الذين يمرغون وجهها فى الطين ويجلبون عليها سخط الشعوب وصراخ الضمائر ، ولازداد حبا لبلاده وزهوا بها ، ولصار من الصعب عليه أن يكبح جماح الغضب الذى لابد أن يستبد به ازاء هذا الذى يراه يرتكب فى حقها باسمها ، فليس فى الجزائر قاض أو جلاد يقطع رقاب الناس الا « باسم فرنسا » .

***

اذ رفضت هيئة المحكمة العسكرية فى الجزائر طلبى المحامين اللذين ذكراهما ، فلم يبق فى يوم ١١ يوليو سوى النقاش الذى جرى

بين هيئة المحكمة وبين المجنونة جميلة بوعزة والا الاتفاق الضمنى الذى تم بين الطرفين ، فحين كان مسيو روانار يحيى الحارس بيده كانت جميلة بوعزة ترفع عقيرتها بالصياح : « برافو ... كم هو جميل ! » وسمح لها مسيو روانار بأن تقول ما تشاء ، واذ كانت جميلة تشعر بالملل فى جلستها على مقاعد المتهمين ، كانت تقوم بالطواف بقاعة الجلسة وهى تهز بطنها وكأنها ترقص على احدى النغمات الموسيقية قائلة للناس : « اذا لم تفهموا ما ترونه ... فسيرسمون المنظر لكم ! » وكان مسيو روانارحينئذ يقطب حاجبيه ويحذرها قائلا لها : انها اذا لم تصمت وتسكن الى مقعدها فسيعيدها الى السجن ويمضى فى القضية بدونها

ولعلها ، على الارجح ، نسيت أنها ، خلال التحقيق ، ودون أن يسألها أحد ، أثارت اسم خطيبها ، ملقية عليه الشبهات ، فقد كانت من آن لآخر ، تتحول الى جميلة بوحريد لتصب على رأسها قسطا وافرا من الشتائم والسباب قائلة : هيه ... تريدين أن يحل خطيبى محلك تحت نصل الجيلوتين .. ولكنى سأتولى منعك من هذا الذى تريدين !

وتبدو على مسيو روانار روح التسامح فيتركها تكرر هذا الاتهام الاساسى الذى يرتكن على الكذب : من الحقوق المقدسة للدفاع أن يمكن من قول كل ما فى مصلحة المتهم .. أجل ؟ ... أم لا ؟

وتمضى فترة ليست بالطويلة ، وفجأة تصرخ جميلة بوعزة :

انني امرأة ساقطة ...

ويرد القاضي : ليس في هذا ما يدعو الى الزهو .

وكانت ملاحظة لها أساس من المعرفة يفوق القدر العادي منها ، لان القاضي كان متأكدا من أن جميلة بوعزة لا تنتمي للساقطات في شيء ، ومع ذلك مضى في مبالغاته حتى صارت ملاحظاته ، وردوده مجرد سخرية من القانون ، اذ قال : انك الى جانب هذا مجرمة ، وكل ما تفعلينه أو تقولينه ما هو الا مهزلة تمثيلية

ومهما يبلغ الرجل من النزاهة فهو ليس الا بشر ، ولكن هل بدأ مسيو رواناز يضيق بجميله بوعزة كما ضاق بالصعوبات التي نجمت عن عناده ، برغم كل الدلائل ، في عدم تقديره لعنصر الجنون في شخصية جميلة بوعزة ؟

وهي الآن تشير بأصبعها الى الجمهور ، متمثلة المدفع السريع الطلقات ، وهي تحرك أصبعها في حركة دائرية كأن المدفع يكتسح الناس أمامه ، بينما تخرج من فمها أصوات الطلقات وهي تنطلق سريعا : طق .. طق .. طق .. طق ..

فلما صمت الناس قليلا ، هزت كتفيها ، وقلبت شفتيها قائلة : هكذا تماما ..

ولقد فعلت مثل هذا كثيرا ، حتى أن رئيس المحكمة ، اذ لم

يستطع فى النهاية احتمالها بعد أن بذل كل ما فى وسعه ليفعل؟ امر بطرد المراة المسكينة من القاعة .

واذ لم يتيسر له احتمال جميلة بوعزة ، بصفتها متهمة ( بفتح الهاء ) ، فلم يتيسر له كذلك أن يستبدل بها أخرى كموجهة للاتهام ضد جميلة بوحريد ، واذ كان مضطرا الى الاستماع لها بصفتها شاهدة ضد جميلة بوحريد ، فانه كثيرا ما عمد الى التغاضى عن أعمالها الجنونية الواضحة ، وكان مضطرا بين آن وآخر الى احضارها الى قاعة المحكمة .

القاضى : ألم تصرحى خلال التحقيق بأن جميلة بوحريد ...

جميلة بوعزة ـ مقاطعة : طق .. طق .. طق .. طق؟ .. واصبعها تدور فى القاعة

القاضى : أترون ؟ ... ها هى تؤكد الاتهام !

ولم يكن فى الامكان سوى طردها مرة أخرى ، ولقد كان هذا ضرورة سريعة ، لانها قررت فجأة ان تخلع ملابسها كلها !

وكانت لا تزال مشغولة تماما بفك أزرار ثوبها وهى تمر من خلال الباب يحوطها الحراس ، وصوتها يعلو قبل أن تختفى : آه .. ان الآنسة بو حريد تريد انقاذ حياتها على حساب حياة خطيبى !

***

وكان فى ملف القضية ٢٠ خطابا من زملاء معتقلين يحتجون فيها على التعذيب الذى لقيته هذه الفتاة المريضة ، فقد عزلت فى زنزانة بعيدة منفردة مبطنة حوائطها بمراتب قديمة ، ولا يدخلها الضوء الا من كوة صغيرة قرب السقف بعيدة عن أيدى المسجونة ، حتى ولو وقفت على طرفى قدميها ، بل وكان ملف القضية يحوى شكاوى قدمها كل المسئولين عن السجن ، من السجان نفسه حامل المفاتيح الى مدير السجن ، كلهم يشكون من أن العسكريين فرضوا عليهم عبئا لا يطيقونه ، فان مكان الفتاة كان المستشفى لا السجن .

وكان فى الملف فضلا عن هذا تقرير غريب بخط الطبيب الذى كلفه قاضى التحقيق بفحص جميلة بوعزة ، برغم ان جميلة بوعزة مسئولة قانونا ، الا انها ، بسبب حالتها العقلية ، تمثل خطرا على الناس ، يرى معه ( الطبيب ) انه لو كان الامر بيده لامر بعزلها ومنعها من الاختلاط الحر بالناس !

ثم كانت شهادات من أطباء آخرين كانوا قد عالجوها حين استلزمت اصابتها بنفس المرض وهى فى السادسه عشره من عمرها عزلها فى احد المستشفيات

وأخيرا كان هناك مسلكها خلال مناقشة القضية وهو المسلك الذى شهده كل انسان كان حاضرا ، ويكفى أنه كان من بين هؤلاء ممثلو الصحافة الجزائرية التى نشرت كل تفاصيل مسلكها الذى ذكرته .

ولم يبق الا أنها ربما كانت تتقن دور المجنونة ، ودون أن نرفض هذا الاحتمال تماما ، برغم أن كل المعلومات تدفعنا الى هـذا ، الا أن حالة جميلة بوعزة العقلية كانت تتطلب من المحكمة أن تنظر اليها على أساس يختلف تماما عن الاساس الذى عاملتها بمقتضاه ، ولقد تقدم الاستاذ « طالبى » نقيب محامى « تيزى أوزو » طالبا عرضها على طبيب اخصائى آخر ، وهى التى كانت معرضة لفقد رأسها فى فناء سجن « بار باروصة » على نصل مقصلة اولئك الذين يطلق عليهم اسم خدام العدالة

وهل تبقى جميلة بوحريد معرضة لخطر الاعدام لان ريح الجنون هبت فزرعت هذه الفكرة فى الرأس الفارغة لطفلة مجنونة ، استولت عليها عاطفة الكراهية والحقد ؟

وهكذا كاد ليل أول يوم من أيام هذه القضية الجـزائرية أن يجن ، وغدا سيلقى الاستاذ فيرجيس محـــامى جميلة بوحريد مرافعته التى سيختمها بطلب فحص جميلة بوعزة بواسطة طبيب أمراض عقلية آخر

وفى اليوم التالى ، ينهض الاستاذ فيرجيس ويلقى مرافعته ... فترفض المحكمة طلباته

***

وعلى المرء أن يتصور الموقف تماما

كانت كل خطوة يخطوها المحـامون الباريسيون فى الشـارع ،

وكل كلمة ينطقون بها فى قاعة المحكمة ، كانت تطغى عليها وتشيعها ألفاظ السباب وعبارات الوعيد ، فان عددا معينا من الفرنسيين من سكان الجزائر يعتبرون أنفسهم الاسياد الشرعيين الوحيدين للبلدة ، يدخل فى ذلك التماثيل العامة ، كان كل ما فيها ملكا لهم ، ومن ذلك طبعا مبنى المحكمة بهيئاته القضائية كلها ، وما حدث هو أنه ما من انسان حاول افهامهم حقيقة الامور ، واذ راحوا يعلقون لافتات كتب عليها « ممنوع الدخول » أو « ملك خاص » راحت الحكومة بدورها تزودها « بالكلاب القذرة » لتعاونهم فى فرض « ممنوعاتهم » وهكذا كان البوليس يطبق نظاما للتفتيش قاسيا الى درجة أنه ما من جزائرى واحد استطاع دخول قاعة المحكمة ، وكان الاستثناء الوحيد لهذا هو أم جميلة بوعزة ، وحتى هذه طردت خارج القاعة حالما عرفت شخصيتها

واذ احتوت القاعة جمهورا فرنسيا فحسب ، راح هذا الجمهور يفرض على القضاة أن يشعروا بقوة سلطان الجمهور الحاضر ، فان صراخهم المحموم بلفظ « الموت » موجها الى المتهمين ، لم يكن له هدف سوى املاء هذا الحكم املاء

وما الذى كان يتوقع من المحامين أن يفعلوه فى موقف كهذا ؟ أننى اصر على القول بأنهم « سكان الجزائر الفرنسيين ذوى الجاه والسلطان » كانوا يضعون أنفسهم فى مرتبة الله ، فهم لا يزالون يعتنقون مبدأ أن « صوت الشعب من صوت الله » ، وكل ماكان منتظرا من المحامين هو أن يشتركوا بطريقة متواضعة فى تنفيذ

« ارادة الله » ، حتى اذا اضطروا الى التضحية بموكليهم يحدوهم شعور واحد ، هو الرضى بما قسم لهؤلاء المتهمين ، لم يكن هناك سوى جواب واحد يسمح به وهو : آمين .. آمين !

ولكننا ورثنا عن الماضى صوتا عظيما علا مطالبا بالعدالة ، مصرا على القانون ، وعلى نداء الضمير وواجب الشرف :

« لقد طلب الى هذا الرجل أن أدافع عنه ، وهو واجب قدمت لأؤديه ، ولربما أصابت الدهشة أولئك الذين ينكرون على المحامى رسالته ، فهم يقولون ان من الجرائم ما يستعصى على الدفاع ، ولكنهم مخطئون ، لانهم فى استنكارهم هذا ، يخلطون بين العدالة وبين الغضب ، فهم من أجل جريمة أرتكبت ضد المجتمع، يطالبون بارتكاب أخطر الجرائم كلها ، ألا وهى التضحية بالقانون »

ان الرجل الذى ألقى بهذه الكلمات هو : لاشو ، وكان يدافع عن مجرم أصيل سفاك رهيب ، هو : تروبمان

***

كانت المشكلة الرئيسية التى واجهت الدفاع هى تلك التى نشأت بسبب رفض طلب فحص جميلة بوعزة لتقرير حالتها العقلية ، فان الدفاع كان فى حاجة ماسة لهذا الفحص لان ظهور الحقيقة بطريقة تقطع خط الرجعة على كل انسان كان يتوقف على ذلك الفحص ، ولكن المحامين ، وقد كانوا فى دفاعهم يقفون ضد تيار الشعورالعام، محرومين من عطف القاضى ، لم يكن مطلوبا منهم الا ان يحاوروا طويلا

فى هذا الموضوع فحسب ، بل لقد كان مطلوبامنهم أيضا أن يمضوا مع التيار فيزيلوا من عقولهم كل فكرة أو اعتقاد خاص بموضوع الجنون هذا ، كان مطلوبا منهم أن يمضوا مع التيار حاملين على أكتافهم عبئا أقسى من عبء القضاء على العدالة ، وهو عبء الظهور بمظهر العدل ، عبء الاشتراك فى محاكمة صورية مزيفة مضللة ، مع قضاة هازلين ، وقوانين عديدة وعديمة الفائدة ... وليس أمامهم سوى حقيقة واحدة هى : المقصلة !

هذه المقصلة التى جرت التقاليد بمنع محامى العاصمة (باريس) من مشاهدتها الى أن يعلموا من الصحف بنبأ اعدام أولئك الذين لم يوفقوا الى انقاذهم من نصلها .

على ان فكرة الاستاذ جويترا والاستاذ موتيه والاستاذ فيرجيس من جدية العدالة وعن دورهم وعما كان مطلوبا منهم أن يفعلوه للدفاع عن موكليهم ، كانت فكرتهم عن هذا كله مختلفة كل الاختلاف

واذ أعلنوا فى عبارات واضحة أنهم سيواصلون الدفاع عن طالب وحامنيد وجميلة بو حريد ، ابلغوا المحكمة ان الاحترام الواجب للعدالة واحترامهم لانفسهم يضطرهم الى الانسحاب والى ابلاغ نقيبهم فى باريس بما يقع فى الجزائر ، وهو ما سيقوم به الاستاذ جويترا والاستاذ فيرجيس بينما يبقى الاستاذ موتيه فى الجزائر ليشهد المحاكمة بصفته مراقبا .

وكانت الساعة التاسعة من الصباح ، ولكن الحديث والجدل

والنقــاش ومحاولات التهدئة الفاشلة ثم خطط فرض السيطرة ، كل هذا شغل المحكمة حتى ما بعــد الظهر ، واستؤنفت الجلســة أخيرا فى الساعة الرابعة حين أعلن الرئيس روانار أنه انتدب محامين جزائريين للدفاع عن جميلة بوحريد وطالب ولكن الاخيرين ردا فى الحال بأنهما لا يرغبان فى انتداب أحد للدفاع عنهما ، وبدا أن القاضى كان مضطرا للتخلى عن مشروعه لان التقاليد لم تجر فى اية محكمة فرنسية على فرض محام على متهم لا يرضى به ، ولكن التقاليد هنا ليس لها أى وزن ففى هذا اليوم : الجمعة ١٢ يوليو ســنة ١٩٥٧ خطر لقوميسير الحكومة أن يفرض تنفيذ الفكرة ففعل وتقدم به فى شكل طلب تداولت فيه المحكمة وخرجت من المداولة بقرار الموافقة وهكذا : باسم القانون ( أى قانون ؟ ) وباسم الشعب الفرنسى ( ولم يكن الشــعب يدرى ) فرض على المتهمة جميــلة بوحريد والمتهم طالب ، محاميان خول لهما الحق فى الكلام باسميهما سواء قبلا أم لم يقبلا .

***

بدا من البداية ، كما ذكر مسيو روانار رئيس المحكمة ، أنه كان من الضرورى أن ينتهى نظر القضية سريعا ، وكان من الصعب تبين السبب فى هذه العجلة ، ولعل القضاة رأوا أنهم ضيعوا ما هو أزيد من اللازم من وقتهم الثمــين ، والواقع أننى عاجز عن أن أصــف المدى الذى بلغه القضاة فى الحط من شــأن القضية واجراءاتهــا القانونية .

كان يوم الجمعة مخصصا لمرافعات الدفاع ، ولكن ما تبقى منه للجلسة لم يزد على ثلاث ساعات ، ومع ذلك فان مسيو روانار شغل هذه الساعت الثلاث التى كان يجب تخصيصها لكل ما يعن للدفاع كتابة أو شفاهة ، شغلها القاضى بأربعة استجوابات اجراها هو يحدوه التفاؤل التام بالنسبة لما تبقى من الوقت المحدد لانتهاء الجلسة أو المحاكمة كلها .

ودون معونة من الدفاع ، لم « تتكرم » جميلة بوحريد على القاضى بأية اجابة ، فأما طالب فكان فى مبدأ الامر اقل عنادا من جميلة ، فى التزام الصمت ، ولكنه سرعان ما لجأ اليه هو الآخر ، بينما يبدو للمرء أن الاسئلة التى ألقيت على حامنيد لم تكن من النوع الذى يدفع الى التفكير الطويل ، والواقع أن حامنيد هذا كان هنا مسئولا عن وقائع ظهر من أجلها فى قضية شاجة أبو طالب قبل هذا اليوم بثمانية أيام فى القاعة نفسها بدار العدالة نفسها وامام مسيو روانار نفسه الذى حكم على حامنيد من أجل هذه الوقائع بالاشغال الشاقة عددا معينا من السنين ثم كان لحامنيد ان يظهر مرة أخرى مسئولا عن هذه الوقائع نفسها فى قضية جميلة بوحريد وأن يحكم عليه فى خلال ايام ثلاثة بالاشغال الشاقة المؤبدة وكذلك استمع القضاة لمرسالى وكادوا أن يرسلوه الى المقصلة ، دون ان يتبينوا ان كان هو حامنيد ام انه شخص آخر ، فانهم راحوا يخلطون ، ليس بين الشخصين ، وانما بين مهنتيهما !

كانت جلسة صباح السبت كافية لاستجواب المتهمين الاربعة

الآخرين وللاستماع لشهادات نصف الشهود ، وهنا يمكن ايضا تفسير هذا الاسراع ، فلم يكن هناك من الشهود سوى ستة ، وقد استمعت المحكمة فى الصباح لثلاثة من أطباء الامراض العقلية بشأن حالة جميلة بوعزة ، اثنان منهما كانا قد عالجاها فى فترة مرضها بالمستشفى قبل ذلك بسنوات ، وقد اختفيا وراء « سر المهنة » فلم يتيسر للمحامى أن يخرج منهما الا بجواب واحد هو أنهما اقسما أن ليس من حقهما ان يقولا شيئا ، اما الطبيب الثالث فكان هو الطبيب الذى انتدب لفحصها خلال التحقيق وقد بين أن مهنته تفرض عليه ألا يعبأ بالمظاهر ، وأن الفتاة لم تكن مجنونة برغم مظاهر مسلكها غير العادى .

ولماذا تجاوز عن تحليل السائل النخاعى حين بدا على مسلك الفتاة المريضة ما يتطلب هذا ؟

وكانت الاجابة أنه ، كطبيب حق ، لم يكن فى حاجة لهذا التحليل ، بعد أن رأى أن الاعراض تكفى لتشخيصه ، وان المرء ليخطىء اذا اعتقد أن « الاعراض الطبية » شىء يختلف عن « المظاهر »

وأضاف الطبيب العالم : وفضلا عن هذا فان المزيد من هذه التحاليل والاختبارات يضايق المريض ويعتبر عبئا على كيس نقوده

وشهدت جلسة ما بعد الظهر نهاية شهادات الشهود وكانوا اثنين من رجال البوليس وشابا تعرف بما يعلو على الشك على جميلة بوعزة ، فقد رآها فى مقهى « الديك الجرىء » قبل أن تترك فى

المقهى لفتها القاتلة .

فمن الذى يستطيع أن يفسر لنا لماذا قرر القضاة استدعاء هذا الشاب وحده ليدلى بمعلومات لم يكن هناك من لا يعرفها بينما رفضوا أو تناسوا استدعاء كل من كان لديه معلومات تفيد التحقيق حقا .

والآن حل موعد بدء حفلة الخطابة والفصاحة .

فبعد مرافعة النيابة ، ترافع الاستاذ لينيه ، المحامى الجزائرى ( الفرنسى ) الذى انتدبته المحكمة للدفاع عن جميلة بوحريد ، وقد أعلن فى بداية مرافعته قائلا : « لا اعتقد أننى أفعل شيئا فاضحا وانا اترافع فى قضية درستها على وجه العجلة ، فان ما هو محرج حقا هو اننى لم احصل من الفتاة التى سأدافع عنها على نظرة واحدة او اشارة واحدة بالموافقة أو بالمعارضة .

***

كان الاستاذ لينيه يتحدث باسم فتاة فى العشرين من عمرها ، تعرضت لكل شىء ، وهو ما نعرف عنه الكفاية ، واصرت دون اى وهن أو ضعف على براءتها فيما يختص بحوادث القنابل ، مع عدم انكارها ، برغم هذا ، انتماءها لجبهة التحرير الوطنى ، او حتى أهمية دورها فى الجبهة .

كان يتحدث باسم هذه الطفلة التى ظهرت شديدة الفخر بأنها

لم تسمح لنفسها مرة واحدة بالكذب .

تحدث الاستاذ لينيه باسم جميلة بوحريد .. ليقول للمحكمة أن موكلته .. مذنبة !!

***

وأرخى الظلام أستاره ، وحل موعد عدم التجول ، ولم يكن فى امكان أى فرد من الجمهور أن يدخل قاعة المحكمة سوى جنود المظلات .

وكان المحاميان الباريسيان ( اللذان كانا قد طارا الى باريس للاجتماع بنقيبهما للاحتجاج على اجراءات المحاكمة ) قد عادا على جناح السرعة ليتخذا مكانيهما على مقعديهما ، وهنا امتلأ القاضى روانار بالحماسة لصحة الاجراءات ، فأصر على أن يتأكد من أن جميلة بوحريد وطالب يقبلان من جديد معونة المحاميين الوحيدين اللذين لم يرفضاهما واللذين أصرا على الدوام على المطالبة بهما .

وقال الاستاذ فيرجيس : اننى لا أفهم لماذا يوجه اليهما مثل هذا السؤال

وفى الحال حدثت ضجة صاخبة فى قاعة المحكمة حشدت بألفاظ السباب والشتم وعلا الصياح حتى غطى كل الاصوات ؟ كان جنود المظلات يصرخون : الى الموت

ولكن الاستاذ فيرجيس لم يتأثر ولم تبد عليه اية علامة للخوف ؟

وانما صرخ بأعلا صوته وهو يواجه جنود المظلات : ـ ما هذا ؟..
هل نواجه هنا محكمة عسكرية ؟ أم اجتماعا للقتل ؟

ولقـد كان سؤال كهذا يتطلب اجابة لا يرضى سـماعها أولئك الذين كان عليهم أن يدلوا بها ، على أن قوميسـير الحكومة انتهز فرصة الضجة القائمة وتدخل فى الامر وكأنه لم يفهم السؤال ، بل انه تبرع من عندياته بتفسير مختلف !

قال قومسيسير الحكومة . ان الاستاذ فيرجيس يقول ان القاضى فشل فى أداء واجبه ، فعلى الاستاذ فيرجيس أن يعتذر

واعقب هذا رفض وطلب وتحذير ثم استؤنف النقاش

وظل المحامون الباريسيون يتحدثون وقتا طويلا ، وفى الساعة الثالثة من صباح اليوم التالى اضطر رئيس المحكمة الى التغاضى عن البرنامج الزمنى الذى كان قد حدده للقضية ، فأجل الجلسة الى موعد آخر فى اليوم نفسه

وحين اجتمع الكل مرة أخرى يوم ١٤ يوليو فى الساعة المحددة طلب مسيو روانار أن يعتبر هذا اليوم ـ وهو يوم العيد القومى الفرنسى ـ يوم هدنة ، قائلا انه يرغب ـ كأى فرنسى حق ـ أن يشاهد العرض العسكرى ، وهكذا كان .

واذ كان المحامون قد شعروا بغير قليل من حسن النية يظهر فى تأجيل القضية والتغاضى عن برنامجها الزمنى المحدد من قبل ،

فانهم اصيبوا بالدهشة حين ظهر لهم أن كل ما قالوه فى مرافعاتهم ليسدوا الثغرات العديدة التى تركها التحقيق عامدا ذهب هباء

***

وهل من الاهمية بمكان أن نعدد هنا كل النقط التى رأت المحكمة أن ترفض بشأنها كل الحجج والاسانيد التى قدمها الدفاع

ففيما يختص بحالة جميلة بوعزة العقلية ، تقدم الاستاذ طالبى المحامى عنها والاساتذة جوتيرا وموتيه وفيرجيس بسبعة طلبات رفضت كلها

وتقدم الاستاذ طالبى الى المحكمة يطلب سماع شهادة أم جميلة بوعزة ولكن الطلب رفض

وفى يوم الاثنين ١٥ يوليو طلب الاستاذ موتيه أن يفحص أحد خبراء المفرقعات رقائق الفولاذ التى وجدت بدار المتهم حامنية ومقارنتها بشظايا القنابل المنفجرة ولكن الطلب رفض

وطلب الاستاذ جوتيرا المحامى عن طالب تحليل العلامات الكيماوية التى وجدت آثارها على شظايا القنابل ومقارنتها بالتركيبات الكيماوية التى اعترف بصنعها فى التحقيق لمعرفة ما اذا كانت المفرقعات التى صنعها قد استعملت فعلا فى القنابل كلها أو فى احداها أم لا ولكن المحكمة لا ترى لهذا أهمية فترفضه

وطلب الاستاذ جوتيرا أن تسمع شهادة ضابط المظلات الذى

أسر طالب : هل كانت عملية « اسر » حقا ، ام انها كانت ( كما جاء فى محضر التحقيق ) عملية استسلام من جانب واحد ، هو جانب طالب نفسه ؟

وأخيرا تحولت جميلة بوعزة من حالة الهياج الشديد الى الاستسلام التام ، وهو ما أثار تعليقات الدهشة فى صحف الجزائر حتى علم من المريضة المسكينة نفسها ، أنها ظلت منذ يوم المحاكمة الاول تتلقى فى عيادة سجن بربروصة حقنة مهدئة فى الصباح وأخرى فى المساء من كل يوم

قالت جميلة بوعزة : ـ لم أعد كما كنت منذ بدأت الحقن

وأثر هذا التصريح فى نفوس الاساتذة فيرجيس وموتيه وجوتيرا، وهو تأثير مفهوم ، حتى انهم تقدموا بطلب سماع أقوال طبيب السجن فيما يختص بطبيعة هذا العلاج الذى يعطى للمريضة السجينة

قال أحد الثلاثة ... حتى نتخلص من هذه الشبهات الفظيعة التى تحيم على هذه القضية وحتى لا توجد فى ملف فرنسا فى الامم المتحدة فى سبتمبر حوادث تعذيب تعقبها حوادث تخدير

وكان ما أعقب هذا الطلب ضجة لم يتبين أحد فيها أية اجابة

أما القاضى روانار فقد أعرب عن سخطه متسائلا كيف يتسنى

للمحامى فيرجيس أن يتفوه بمثل هذا الكلام وأمامنا هنا قوميسير الحكومة الذى يحمل جسمه آثار جراح الحرب العالمية الثانية بينما المحامى فيرجيس – برغم انضمامه لقوات الفرنسيين الاحرار متطوعا – فان جسده خال من أية علامة من علامات الشرف

وبعد أن بذل القاضى روانار كل ما فى وسع الانسان لازالة مشكلة تخدير الفتاة المجنونة ، عمد الى رفض الطلب الذى تقدم به الاساتذه جوتيرا وفيرجيس وموتيه على أساس انه يطيل القضية بلا داع

ولم تكن هناك طلبات اخرى ، او على الاصح لم يتوفر الوقت للتقدم بطلبات اخرى ، واخيرا عرض المحضر الاصلى لاعترافات جميلة بو حريد ، وهو محضر كانت الشبهات قائمة حوله من قبل ، ثم ازدادت الشبهات حين ارتفع صوت المتهمة تعترض على توقيعها المزعوم على المحضر ، وتطلب اثباتا لكلامها خبيرا فى الخطوط يضاهى توقيعها الحقيقى بالتوقيع المزعوم على المحضر

ولكن .. لقد كان ١٤ يوليو قد مضى ، وكان العرض العسكرى قد مر ، وكان الوقت يحث الخطى مرة اخرى ، وتدخل قوميسير الحكومة مشيرا على المحكمة بقرار اقرته فعلا وهو انها لن تقبل بعد الآن ما يضيف اى شىء الى ما تبين حتى الآن اثناء نظر القضية ، وهكذا أمكن انهاء النقاش .

وبهذا حرم الاستاذ فيرجيس المحامى عن جميلة بو حريد الوحيد الذى كان لا يزال يمثل موكلته دون اعتراض من احد ؛ وبهذا حرم المحامى من ان يلقى بمرافعته ، ونهضت هيئة المحكمة لتنسحب الى غرفة المداولة

باريس فى ١٠ سبتمبر ١٩٥٧



## عزيزى ارنو

طلبت اذنى بنشر المرافعة التى كان على ان القيها دفاعا عن جميلة بو حريد ، كيف ارفض لك هذا الطلب ؟ ان العدالة فى فرنسا علانية ، والمرافعة جزء اساسى فى القضية ، ان مرافعتى من حقك كما انها من حق اى شخص آخر ، واننى لآمل ان يتمكن قضاة جميلة بو حريد من قراءة المرافعة ، ومن الحكم عليها بمحض اختيارهم ، ومن سوء الحظ ان جميلة هى الوحيدة التى تملك حق السخرية منها

صديقك المخلص

**چاك فيرچيس**

**اننى** اولا احنى الرأس لقتلى مقهى « الديك الجـرىء » ومقهى « الميلك بار » كما احنى الرأس لكل من قتلوا فى « القصـبة » فى « الكازينو » وفى « بلكورت » وفى « باب العويد » ، ولاولئك الذين لقوا حتفهم فى ملعب الجزائر او ملعب فيليب فيل الذى تحول الى ثلاجة مشرحة

من السهل على بكل تأكيد ان اعترف بالجرم ، فان اعترافا كهذا يبدو انه يلائم المحكمة ويستدر عطفها على المحامين ، ولكن اعترافا منى بجرم شخص برىء يحمل فى طياته مهارة لا بد ان اتصف بها ، وهو ما لا اتحلى به للاسف فسامحونى !

ان ملف التحقيق الذى قدمه البوليس ، وهو كل ما نملك ، يبدأ بالتحقيق الذى اجراه جنود المظلات مع جميلة

واذ اضطركم ترتيب الحوادث الى البـدء فى استجوابكم بجميلة

بوعزة فاننى لاأجد مناصا من أن أبدأ بها مثلكم

فى ٩ مايو سنة ١٩٥٧ توجه مسيو جورج فرنان ضابط البوليس، بناء على طلب الكابتن جرازيانى من ضباط المكتب الثانى التابع لقيادة الجنرال ماسوز ، الى مركز قيادة الاورطة ، وهناك وضع ضابط المظلات تحت تصرفه فتاة فى التاسعة عشرة من عمرها : جميلة بوعزة

وكانت الفتاة قد ظلت فى أيدى جنود المظلات طيلة الأربعة عشر يوما السابقة ، وهى الآن فى سبيل تسليمها الى جهات العدالة العادية

وأبقاها ضابط البوليس يومين آخرين

وفى يوم ١١ مايو واجهت جميلة بوعزة قاضى التحقيق ، وهناك اصرت على نقطتين : الاولى انها ارادت ان تؤكد انها لقيت معاملة جد طيبة من جانب جنود المظلات وكذلك من جانب البوليس ، فلم تتعرض لأية معاملة قاسية ، ولم ينقصها شىء ، وانما وضع تحت يدها كل ماطلبته ، بل ان الطعام الذى قدم اليها كان طيبا جدا .

ثم أضافت الى ماجاء فى تحقيق العسكريين معهما انها تؤكد كل ماتضمنه هذا التحقيق ، قالت :

« انضممت الى صفوف جبهة التحرير الوطنى عن طريق خطيبى

حطاب عبد المجيد وكنت اعرفه منذ ثلاث سنوات سبقت هذا الانضمام ، وكان هو الذى قدمنى الى جميلة بوحريد التى كانوا يطلقون عليها سرا اسم حسيبة »

وتقول ايضا انها ، بناء على اشارة جميلة بوحريد عليها ، وضعت قنبلة فى سلة المهملات بشارع ميشيليه يوم ٩ نوفمبر سنة ١٩٥٦، وفى يوم ٢٦ يناير سنة ١٩٥٧ وضعت قنبلة ثانية انفجرت فى مقهى الديك الجرىء فقتلت اثنين وجرحت كثيرين .

فى يوم ٢٥ أبريل سئلت جميلة بوحريد فى مركز البوليس امام الضابط نفسه « جورج فرنان » الذى كان قد تسلمها من مركز قيادة الأورطة نفسها ( أورطة المظلات ) سئلت جميلة فأضافت الى ماكانت قد أدلت به لضابط المظلات الكلمات التالية :

« لقد تحدثت عن محمد حطاب ، ولكنى نسيت أن أقول فيما يختص به ما يلى : جاء حطاب يوما وقال لياسف ان هناك فتاة ترغب فى الانضمام الى جبهة التحرير الوطنى ، ولم اكن موجودة خلال هذا الحديث ولكن ياسف أخبرنى به ، وكلفنى بالاتصال بها ، وطلب منى أن أتوجه الى شارع ٨ نوفمبر ، وهناك سألقى الفتاة التى ستكون مرتدية سترة حمراء

« وذهبت ، وطبقا للتعليمات التى أبلغنى اياها ياسف وجدتها ، وكان قد قال لى ان علي اذ ألقاها أن أقول لها : انى قادمة من طرف سيد أحمد

« وقالت لى : حسنا ... اننى أريد أن أعمل فى صفوف الجبهة

« واجبتها بأننى سألقاها مرة أخرى حين أتلقى أمرا بذلك من ياسف ، وكانت تعلم أن العمل المطلوب هو وضع القنابل فى الأبنية العامة » .

وفى اليوم التالى قبلت جميلة بو حريد ان تدلى بأجوبتها بدون مساعدة المحامى الذى اختاره لها أبواها فاعترفت لقاضى التحقيق بما يلى :

« اننى أعترف بأننى كنت عضوا بجبهة التحرير الوطنى منذ منتصف شهر نوفمبر سنة ١٩٥٦

« وكان عمى مصطفى بوحريد هو الذى ساعدنى فى اتخاذ قرارى بخدمة هذه القضية وأناط بى مهمة اطعام ياسف السعدى وعلى لابوانت وعلى لو الذين كانوا قد لجأوا الى منزله ، وكنت أعلم أنهم من محاربى جبهة التحرير الوطنى ، ومع ذلك قبلت

« كان عمى يحضر لنا مواد الطعام فكنت أطهوها

« وكان من مهام ياسف السعدى وعلى لابوانت تشييد مخابىء حجرية فى الحوائط لاخفاء القنابل التى كان يصنعها أشخاص

لم أعرفهم »

واذ اعتقل جنود المظلات يوم ١٢ أبريل طالب الكيماوى ، اعترف فى أول « استجواب » له يوم ٢٠ أبريل بأن « ياسف قال لى ان جميلة وضعت قنبلة فى مقهى « الميلك بار » وان حسيبة وضعت قنبلتها فى «الكافتيريا» بينما وضعت زهرة القنبلة فى «الموريتانيا» .

وفى الساعة السادسة من صباح ٩ أبريل جرحت جميلة بوحريد فى شارع «سفنكس» بحي القصبة ، برصاص دورية أطلقت عليها النيران ، فسقطت محطمة الكتف .

وبعد هذا بستة عشر يوما أرسل جورج فرنان تقريرا الى رئيسه «رئيس قوميسيرى اللواء الميكانيكى» قال فيه ان جميلة بوحريد كانت تحمل حقيبة جلدية كان فيها مايلى :

١ ـ وثيقة هامة جدا عن النشاط فى الولاية رقم ٤ ومعنونة باسم سى رمضان « أبين رمضان » عضو اللجنة التنفيذية لجبهة التحرير الوطنى .

٢ ـ وثائق خاصة بنشاط جبهة التحرير الوطنى فى الجزائر .

٣ ـ أختام كثيرة مأخوذة من دار شيخ البلد ومحافظة الجزائر .

٤ - مبلغ ٨٠٠ ألف فرنك .

وأضاف الى ذلك أن جميلة كانت قد غادرت لتوها ياسف السعدى الذى كان قد أناط بها مهمة نقل الأوراق التى وجدت معها ، وكانت جميلة ، وهى التى كانت تزامل باستمرار ياسف وعلى لابوانت وعلى لو و «حسيبة» وزهره ، كانت مضطرة الى الاحتماء ببيت عمتها فى شارع عبد الرحمن ، ثم احتمت ببيت أصهار ياسف فى زقاق سيلان وبعدئذ ببيت بشاجه بوطالب وأخيرا فى شارع النيل حيث مكثت حتى يوم اعتقالها .

وفى اللحظة التى كانت الجماعة تعتزم تغيير مخبأها فيها جرحت جميلة وهى تنقل الأوراق الهامة واعتقلت .

واختتم الضابط تقريره بقوله : « وعلى الجملة فقد مكننا اعتقال المذكورة جميلة بو حريد من وضع ايدينا على وثائق واوراق هامة كما مكننا من التأكد من انتمائها الى جبهة التحرير الوطنى

« وبرغم انها كانت تتصف بالمهارة فى قيامها بدورها فى تحقيق الاتصالات المطلوبة ، فان المرء ليعتقد أن هذا الدور لابد وأنه كان أهم من ذلك بكثير لاسيما اذا أدخلنا فى اعتبارنا الثقة التى كان ياسف يضعها فيها

« وأخيرا ، اننا لانستبعد احتمال أن تكون المذكورة جميلة بوحريد وزميلاتها هن اللائى وضعن القنابل الأولى التى انفجرت فى مقهى

« الميلك بار » ومقهى « الكافتيريا » وذلك بالرغم من اننا لا نملك من الأدلة مايثبت صحة هذه التحريات » .

ان مسيو جورج فرنان الذى كتب هذا التقرير المختصر يوم ٢٥ أبريل والذى قيل انه استمع فى اليوم نفسه لاعترافات من جميلة بوحريد عن حادث مقهى «الديك الجرىء» ، لم يذكر فى هذا التقرير شيئا عن هذه الاعترافات أو عن هذا الحادث .

وبعد خمسة أيام من اعتراف طالب المزعوم ، يخرج مسيو فرنان بفرض لا يؤيده برهان عن اشتراك جميلة بوحريد فى حوادث « الميلك بار » أو « الكافتيريا » .

ومع ذلك فهو متأكد من أن جميلة بوحريد ، وقد كسبت ثقة ياسف ، لابد وأن دورها كان أهم بكثير مما اعترفت به ، ولو كان لنا أن نصدق أقوال جميلة نفسها ، فان هذا الدور المزعوم هو الذى شغل جنود المظلات سبعة عشر يوما ودفعهم الى محاولة ارغامها على الكلام .

كانت رغبتهم الملحة فى معرفة مكان اقامة «قائد مدينة الجزائر» الذى أعيتهم الحيل فى الامساك به ، هى التى جعلتهم يبدأون استجوابهم للجريحة جميلة بوحريد وهى لما تزل على منضدة الجراحة .

والآن أترك الكلام لجميلة بوحريد

قالت جميلة : «حالما بلغت المستشفى سألنى أشخاص عديدون، كان من بينهم ثلاثة ضباط برتبة كابتن، وثلاثة من مفتشى البوليس، وثلاثة من رجال المظلات لابسى القلنسوة الحمراء

« ولم يترددوا فى توجيه اللكمات الي لارغامى على الكلام

« وفى أحد الأيام جاء ملازم طويل أشـقر وجردنى من ملابسى تماما أمام الضباط الثلاثة ورجال البوليس الثلاثة ورجال المظلات الثلاثة ..

« ومضى يتحسس جسدى بطريقة قذرة ، قائلا انهم سيجلبون لى جنديا من السنغال كثيرا مااستخدموه مع النساء المسلمات

« وحاولت أن أدفعه بعيدا بيدى السليمة الوحيـدة ، فضربنى على وجهى ، مما أضحك الآخرين

« وفى خلال ليل ١٧-١٨ أبريل وفى حوالى السـاعة التاسـعة مساء جاء الضباط الثلاثة واثنان من رجال المظلات وأخذونى الى سيارة وضعونى فيها وقد غممت عيناي ، وسارت بى السيارة فى اتجاه لا أعرفه ، وأعتقد أن المنزل الذى أخذونى اليه ليس بعيـدا عن مطار « ميزون بلانش » لأننى ظللت طوال الليل أسمع أصوات آلات الطائرات

وهناك أدخلونى احدى الحجرات وضربونى

« ثم جردنى الضباط الثلاثة ورجلا المظلات من ملابسى تماما وربطونى الى مقعد خشبى وهم يتوخون الدقة فى وضع قطع من القماش المبتل تحت الحبل الذى ربطونى به عند معصمى وذراعى وبطنى وفخذى وعقبى وساقى

« وبعدئذ أدخلوا قطبي الكهرباء فى أعضائى التناسلية وفى فتحتى اذنى وفتحتى انفى ووضعوهما فى راحتى يدى وعلى طرفى ثديى وعلى جبهتى

« وفى الساعة الثالثة من الصباح أغمى علي ورحت أهذى

« وفى نهار يوم ١٨ ضربت مرة أخرى ، ثم لفوا حول ابهام قدمى سلكا حديديا يسرى فيه التيار الكهربائى

« وفى يوم ١٩ استمرت عملية التعذيب ففتح جرح صدرى مرة أخرى تماما

« وكلما كان أحد رجلي المظلات يقوم بعملية تعذيبى كان الثانى يدون مايحدث بينما كان أحد الضباط ، وهو ضابط قصير كستنائى الشعر يتحدث بلهجة جزائرية ، يلقى علي الاسئلة

« وفى ٢١ أخذت الى البيار فى مقر قيادة الأورطه » .

هناك وجدت جميلة أخاها الصغير هادى وهو فى الحادية عشرة من عمره ، كما وجدت أخوي ياسف وابن أخيه موعكلى الذى يبلغ الرابعة عشرة ، وقدسئل كل منهم عن مكان أخيه أو عمه أو رئيسه او صديقه ، ولم يكن بينهم من يعرف شيئا سوى جميلة بوحريد

وبذل رجال المظلات كل ما فى وسعهم لارغامها على الكلام لانها كانت تعلم أين يختبىء ياسف ، ولكنها لم تتكلم ، ولا يزال ياسف حرا ..

فلماذا اذن تتحدث - كما هو مزعوم - عن محاولتي شارع ميشيليه والديك الجرىء حيث لم يكن ميسورا لاحد ان يكشف عن الدور الذى نسب اليها القيام به ، وهو دور تسليم طرد صغير الى فتاة لا تعرفها

وفضلا عن هذا فهو زعم لايمكن تصديقه

والا ، فكيف يستخدم زعيم ماهر مهارة ياسف رسوله فى عمليات الاتصال بينه وبين لجنة التنسيق والتنفيذ التابعة لجبهة التحرير الوطنى فى عملية من عمليات الارهاب ؟

كيف يكتفى زعيم حذر كياسف بأن يضع بينه وبين منفذ عملية الارهاب المعرض للخطر على الدوام رسولا واحدا فحسب ؟

وكيف يسمح لنفسه بأن يضع سلامته وسلامة حزبه كله تحت رحمة رسولين فاشلين ؟

ولماذا لم يعن لجميلة بوحريد أن تختار من بين ألوف الأسماء الحركية الا اسم صديقتها حسيبة التى كانت هى الأخرى من رسل ياسف ؟

فهل كانت ترمى من وراء هذا الى تركيز التحقيق حول شخصها مع أن الغرض من اختيار الاسم الحركى هو تجنب هذا ؟

ان جميلة بوحريد تؤكد أن هذه «الاعترافات» لم يتيسر لأحد حتى أن يستخلصها منها ، وانما هى « اعترافات » اخترعت اختراعا .

وكذلك كان من قبيل الاختراع أنها صرحت يوم ٩ ابريل بالأمكنة المخبأة فيها القنابل ، فان الواقع أن هذه الأمكنة اكتشفت يوم ١٨ أبريل على اثر بلاغ قدمه أحد المرشدين البوليسيين ، وقد أعلن هذا النبأ مصدر مسئول للصحافة الجزائرية يوم ٢٠ أبريل .

ان جميلة بوحريد تذكرنا هنا بأن مسيو جورج فرنان لايأتى على ذكر هذه « الاعترافات » فى تحقيق يوم ٢٤ او فى التقرير النهائى المكتوب يوم ٢٥

وهى تختم قولها بأن هذه « الاعترافات » المضافة الى الملف

جاءت - فى الملف - لاحقة لاعترافات جميلة بوعزة التى أدلت بها يوم ٩ مايو .

فلو كانت هذه الأقوال « المضافة » قد قيلت حقا يوم ٢٥ وهو اليوم الذى قبض فيه على جميلة بوعزة فلماذا انتظروا حتى يوم ٩ مايو ليجعلوها تؤكد هذه الأقوال ؟

وبرغم أن ضابط المظلات ورجلَ البوليس اللذين عالجا مسألة جميلة بوعزة هما اللذان كانا قد عالجا من قبلُ مسألة جميلة بوحريد ، فلماذا كانت جميلة بوعزة - على مايبدو - مستعدة للاجابة السريعة ؟

اننى لاأدرى لماذا لم يسمح لى بالاطلاع على ملف جميلة بوحريد حتى يوم ١٦ مايو ، أي حتى تم التحقيق مع جميلة بوعزة ، وكذلك لاأستطيع أن أفهم كيف أن جميلة بوحريد لم تكن معتبرة شريكة فى جريمة قتل قبل استجواب جميلة بوعزة .

ان كل ما فى الملف هو نسخة من هذه الاقوال المضافة ، أما الأصل فقد أخفى عنى حتى اليوم - ١٥ يوليو

أما التفسير الذى رأيت ياسيدى الرئيس أن تقدمه لهذا الأمر الغريب فلا يفسر فى الواقع شيئا : فلو كان الأصل موجودا لما كان الا فى ملف جميلة بوحريد ، وليس فى الامكان ان يوجد فى مكان آخر ، لأن ملفات الآخرين لم تضف الى القضية الا فى شهر يونيه

وفيما يختص بالاعترافات التى زعم أن جميلة بوحريد أدلت بها لقاضى التحقيق فهى لم توقعها ، وانما سارعت الى انكار انها أدلت بها ..

ففى يوم ٢٦ أبريل وجد السيد القاضى من المناسب ، بينما كان ضابط البوليس المتعب ( بكسر العين ) يقف ببابه ، أن ينتقل من الأسئلة الخاصة بتحقيق شخصية المتهمة الى تحقيق كامل فى تهمة جميلة بوحريد دون أن يعنى حتى بأن يذكر لها شيئا عن وجودى، وكذلك لم ير أن من الضرورى أن يبلغنى بهذا التحقيق الذى كان يجريه ، ولكن الصدفة الى صفة الحذر التى اتصف بها هما اللذان جذبانى الى غرفة التحقيق ، حيث طلبت منه أن تقرأ أمامى الأقوال التى كان مفروضا أن جميلة بوحريد قد أدلت بها قبل حضورى ، فلما حدث هذا قفزت هى لدى سماعها الجملة الاخيرة فى الأقوال المدونة : انها لم تتحدث أبدا عن أية قنابل ، وأضافت قائلة « ان رجال المظلات كانوا يودون منى أن أفعل »

وأخيرا ، لقد قبل طالب ، حين واجه قاضى التحقيق يوم ٢٩ أبريل ، أن يتحدث دون وجود محام الى جواره ، واذ كان يائسا ، فقد أيد كل ماكتب عن اعترافاته سواء كانت صحيحة أم كاذبة، فيما عدا شيئا واحدا ، هو سطران عن جميلة بوحريد أعلن أنهما أضيفا الى أقواله .

قال طالب « ان يأسف لم يبلغنى أن جميلة هى التى وضعت قنبلة « الميلك بار » برغم انكم تحاولون ان تخرجوا من اقوالى فى التحقيق بهذا المعنى وهو ما ليس صحيحا »

وكان طالب قد أفلت لتوه من أيدى رجال المظلات ، بينما لم تكن جميلة بوحريد قد تركت حتى هذا اليوم ظلام السجن المدنى بالجزائر ، فلم يكن ميسورا لهما اذن أن يتصلا ، وعلى هذا كان هناك مايشبه العقدة التى تربط بين اسم جميلة بوحريد وبين حوادث الارهاب .

وكانت هناك عقدة مماثلة ذهبت بحياة ريموند بيشار ، فان الصحف كانت قد نشرت اسمها حتى قبل وقوع حوادث شهر يناير ، فلما اعتقلها رجال المظلات ، خيل لهم أنهم بذلك كشفوا الستار عن مؤامرة « الاحرار » ، وهكذا قبض على ريموند بيشار واستجوبت ، ولم يعلن نبأ وفاتها حين ماتت مما يفسر السبب فى أن شبح جثة هامدة لفتاة مسيحية ظل يخيم على رأس فتاتين مسلمتين أسابيع طويلة ، ولم يكن فى ملف القضية سوى صورتها التى كانت قد وزعت نسخها على رجال البوليس ليقبضوا عليها ، فلما أبلغ قاضى التحقيق بما ارتكبه من خطأ ، تخلى عن فكرة ربط جبهة التحرير الوطنى مع الحزب الشيوعى فى اتهام واحد ، وانما حاول أن يتخلص من شبح الفتاة الميتة ، فأعلن براءتها بعد وفاتها !

وفيما يختص باشتراك جميلة بوحريد فى حوادث الارهاب ، لم

يبق امامى سوى الاعترافات التى ادلت بها جميلة بوعزة بعد خمسة عشر يوما ظلت خلالها أسيرة لدى رجال المظلات .

● ولكن تاريخ الحادث الأول وهو ٩ نوفمبر يطابق فترة لم تكن جميلة بوحريد قد انضمت فيها بعد الى جبهة التحرير الوطنى وهى حقيقة لم يعترض عليها أحد

● ولكن جميلة بوعزة ، تراجعت فيما اعترفت به بشأن جميلة بوحريد وفيما اعترفت به على نفسها فى خطابات عديدة بعثت بها الى قاضى التحقيق والى خطيبها وقد صودر بعض هذه الخطابات .

كتبت جميلة بوعزة ، الى اخيها يوم ٢٥ يونيه سنة ١٩٥٧ تقول « ان جميلة بوحريد فتاة مسكينة لاتعلم شيئا »

وكانت جميلة بوعزة احيانا تتهم خطيبها واحيانا تهدده ، ولكنها تامل على الدوام ألا يحدث له شىء

وطالما نظرت الى جميلة بوحريد خلال المحاكمة قائلة « يجب ألا يموت » ..

وهكذا يرتكن الاتهام كله الى أقوال جميلة بوعزة ، ولكن ، من بين جميع الاعترافات المتناقضة التى أدلت بها ، فان الملف لم يتضمن الا تلك الاعترافات التى استغرقت صياغتها خمسة عشر يوما ،

بينما استبعدت أكثر الاعترافات أهمية وهى التى أدلت بها بمحض ارادتها فى شكل خطابات «سرية» بعثت بهـا الى خطيبهـا أو الى أخيهـا ، ومن بين كل الطرق المفتوحة لم يبق الملف الا على طريق واحد هو ذلك الذى يؤدى الى جميلة بوحريد برغم أنه طريق ليس اثباته متيسرا .

ان جميلة بوحريد تتصف بكل صفات الرهينة الطيبـة ، فعلى اثر معلومات مجهولة الأصل كتب البوليس تقريرا عنها جاء فيه أن الشبهات تحوم حول مسلكها الخلقى وأنها خصم للفرنسيين ولاشك أن التهمة الاولى اعقبت التهمة الثانية

وجميلة بوحريد هىالابنة الكبرى لأسرة متواضعة ، ولها خمسة أشقاء : نور الدين وهو يدرس الفلسفة فى باريس ، لياس وهو فى الخامسة عشرة من عمره وقد عذبه رجال المظلات ليـلة كاملة فى فبراير بحثا عن مخبأ ياسف ، هادى وهو ضيف الكابتن جرازيانى ، ثم عزيز ونذير

وقد قتل رجال المظلاتعمها مصطفى الذىالحقها بجبهة التحرير الوطنى ، قتلوه يوم ١١ مارس فى قلب حي القصـبة فترك وراءه زوجة محترمة وخمسة أطفال

وكانت جميـلة بوحريد مثال الفتـاة المسلمة الحقة ، مما أثار

الضغينة فى قلوب البعض وأثار فى قلوب الآخرين الرغبة فى الثأر ، فقد كانت خير رسل ياسف ، كانت الرسول الذى يفضله لشجاعتها وذكائها ، وكانت هى التى، فى يوم ٩ أبريل، تسير فى مقدمة المجموعة الصغيرة فى شارع «سفنكس» وحول رقبتها أوراقهم ومالهم . فلما سقطت جريحة صرخت محذرة رفاقها مسهلة لهم طريق الفرار

ليس هناك تفسير للبطء العجيب الذى مضت به الاجراءات التى أعقبت الشكوى التى تقدمت بها جميلة بوحريد من أولئك الذين سجنوها وهددوها وعذبوها سبعة عشر يوما

كتبت يوم ١٦ مايو الى قاضى المحكمة العسكرية تقول « لقد مضى أكثر من خمسة أسابيع على اعتقالى ، وأكثر من شهر على اختطاف بواسطة رجال المظلات وأكثر من ثلاثة أسابيع على تقديمى للنيابة ، ولم يتخذ اجراء ضد أولئك الذين ضربونى وعذبونى وأذلونى ، ولم يتخذ اجراء ضد أولئك الذين اختطفوا أخى الصغير البالغ من العمر أحد عشر عاما وابن أخى ياسف السعدى البالغ من العمر اربعة عشر عاما .

« لم يرنى الطبيب الا فى يوم ١٤ مايو ليفحص الآثار التى كادت تزول للتعذيب بالكهرباء والمعاملة القاسية على جرحى الذى لايزال مفتوحا وعلى ثديى وفخذى

« وهكذا لابد لى من أن أقول ان العـدالة التى قدمت اليهـا ليست عادلة ..

« اننى لا أستطيع بعد التعذيب الذى تعرضت له ، وكان أسوأ من الموت نفسه لانه كان مهينا مذلا ، على أيدى الضباط الفرنسيين فى مستشفى وفى مبنى عسكرى، اننى لااملك الا أن أنكر على المحكمة العسكرية ، لا اختصاصهـا فحسب ، ولـكن مجرد الحق الأدبى فى محاكمتى ، واننى اذ افعل هذا لا أجنح جنوحا سياسيا ، ولا أجنح حتى الى الناحية الوطنية ، ولكنى أطالب بحق أدبى

« ليس من حق الضباط الذين عذبونى هكذا أن يذلوا الانسان ماديا كما فعلوا فى جسدى ، وروحيا كما فعلوا فى نفوسهم

« وليس من حقى ، مادام الذين عذبونى لم يلقوا عقابهم ، أن اقبل المعاونة فيما لايمكن أن يكون سوى سخرية من العدالة »

ثم هى تكتب يوم ١٨ يونيه :

« فى ٢٧ أبريل تقدمت الى كبير القضاة بشكوى لفت نظره فيها الى ضرورة تعيين طبيب مختص ليفحصنى ، ومضت عشرة أيام قبل أن يحيلنى القاضى على الطبيب المختص ، ثم مضت سبعة أيام أخرى قبل ان يفحصنى الطبيب الذى كتب مدعيا الظرف ان هذه الايام السبعة عشر لم يكن لها أي أثر على حالتى »

على أن الدكتور جودار لاحظ على فخذ جميلة بوحريد وعلى جنبها الأيمن ندبتين طول كل منهما ستة سنتيمترات قال عنهما انهما من أثر «حكة» أو من السقوط أو الضرب بالعصا

ومضت جميلة تقول « الواقع أن الندبتين سببهما الحبل الذى كنت موثقة به بينما كنت أكافح الألم من لسعات الكهرباء والضباط يتلذذون بتعذيبى ، وكان الدكتور جودار يعرف هذا تمام المعرفة فان الحروق التى أصيبت بها المواضع الحساسة من جسدى ـ كما حدث لاخواتى فى الاسر ولاسيما الدكتورة جانينى بالخوجة ـ ظلت حتى يوم ٣٠ مايو برهانا ظاهرا على قولى ، ولكن الطبيب فضل الا يفحص هذه الحروق لأنها كانت الدليل الحي على ماتعرضت له من تعذيب وما قاسيته من « الساديزم » الذى اتصف به الضباط الذين عذبونى

« ولرغبته الأكيدة فى نفي كل شىء فقد راح يبالغ حتى لقد ادعى أن جرحى الذى كان قد فتح من جديد نتيجة للكمات التى وجهوها الي ان هو الا بثرة درنية الأصل! برغم أننى جرحت فى الشارع وبرغم أن حامل أختام المحكمة أيد هذا ، ومضى الطبيب يقول ان أثر الجرح الذى أصابنى فى ظهرى على اثر نفاذ الرصاصة فى كتفى ليس الا بثرة أخرى درنية الأصل! ولو أنها قديمة ، بل انه ادعى أن عجزى عن تحريك ذراعى وهو مانتج بسبب الاصابة التى تلقيتها فى كتفى

وبسبب المعاملة القاسية التى لقيتها بعدئذ ، حتى هذا ادعى الطبيب انه يمكن أن يرجع لسبب طبى

« ولكن يجب علي أن اقول ان الطبيب تجنب أن يطلب تصويرى بالأشعة كما تجنب أن يطلب تحليلا بكتريولوجيا للجرحين ( اللذين ادعى أنهما تخلفا من بثرتين درنيتين ) وهو ما قد يلقى بظلال الشبهات على نتيجة فحصه »

وهل من الضرورى ان اذكر أن جميلة بو حريد لم تتلق اى جواب على نداءاتها المتكررة ، فلم تلتقط لها أية صور بالأشعة ولم يجر لها اي تحليل بكتريولوجى

ان أحدا لم يعثر على الضباط الثلاثة أو على رجال البوليس الثلاثة او رجلى المظلات ، ومع ذلك ففى المستشفى العسكرى بمايو دفتر أحوال يسجل أسماء كل من يدخله وكل من يغادره

ومع ذلك ففى قسم بوليس المدينة توجد وثيقة رسمية تسجل تسليم جميلة بوحريد لرجال المظلات، وهناك أيضا الكابتن جرازيانى ولابد أن يكون فى امكانه أن يدل على زميليه الضابطين الآخرين كما أن فى امكانه أن يؤكد تاريخ تسليم جميلة له وحالتها حين تم هذا التسليم ، بل ان فى امكانه أن يعين اسم الضابط القصير ذى الشعر الكستنائى واللهجة الجزائرية

ولقد كان فى امكان مسيو جورج فرنان الضابط القضائى أن

يدل على اسم الشخص الذى دون قائمة الأوراق والوثائق التى ضبطت يوم ٩ أبريل .

أن الاجراءات التى سارت بمنتهى البطء فى نظر الشكاوى المقدمة من جميلة بوحريد ، تحولت الى سرعة مخيفة فى اتهامها ، وقد استبعدت كل الطرق التى لا توصل الى أفضل رسل جبهة التحرير الوطنى .

وحين عادت جميلة بوعزة من اقامتها الطويلة لمدة خمسة عشر يوما لدى رجال المظلات ، كانت محطمة مهدمة تماما ، ومن الصعب ادراك السبب فى هذه الاقامة الطويلة هناك مادامت قد تطوعت للرد على كل سؤال

وهى تكتب خطابات غريبة للكابتن جرازيانى ولكبير الاطباء اللذين اضطرا للعناية بها ، فقد كتبت فى خطاب مؤرخ ٢ يونية « هل تذكر بقعة الدم التى كانت تلطخ قميصى النيلون ، اننى أعتقد أن هذا كله ليس طبيعيا »

وحتى خلال الجلسة هنا ، حين سألتها ياسيدى القاضى بصبر لا يستحقه سوى الشواذ من الناس ، حين سألتها ان كانت قد تعذبت ، أجابتك على سؤالك ــ وهنا أفضل نقل ماكتبته الصحف ــ بضحكة عريضة وهى تقول « كلا ... أبدا ... أبدا »

اما مسلكها فى السجن فقد دفع طبيب سجن الجزائر الى تقديم تقرير بتاريخ ٣ يونيه اذاعه مدير السجن يوم ٤ يونيه وفيه أن الطبيب يراها خطرة وأنها من نصيب طبيب الأمراض العقلية

وفى ٣ يونيه اضطر مدير السجن الى الباسها قميص الجنون ، بعد أن فشلت معها العقاقير المهدئة ، وهو مايستخلص منه بالطبع أنها لم تكن تدعى الجنون

ويذكر رئيس السجانين أن المسجونين من زملائها شكوا منها

وفى يوم الاثنين ١٠ يونيه رفض مدير السجن أن يسمح للأستاذ ميرا المحامى الباريسى بأن يقابلها ، وذلك – كما قال القاضى – بسبب حالتها العقلية

وكذلك ترى السجانات « مدام كوساد ومدام بيسى ومدام آرنو ومدام فيرانديس ومدام فرومانكيتى » فى خطابات موجودة فى ملف القضية أن جميلة بوعزة مجنونة خطرة

ولديكم فى الملف أيضا خطاب من زميلة لها فى السجن من الميسور التأكد من صحة أقوالها فيه : « انها تقص حكايات لايربطها أي رابط ، وتغنى وتصرخ وتدق بابها بعنف وقوة غير عاديين ، وهى لاتنام الا قليلا برغم كل العقاقير المهدئة التى تتناولها ، ولقد ضربت كثيرات من السجانات ، وهى تمزق كل ماتعثر عليه فى زنزانتها ، من المرتبة الى الأغطية الى الملابس ... الخ وهى تتبول على كل شىء

« ونتيجة لسلوكها هذا ، وفى سبيل الاقلال من الاضرار من

ناحية، وفى سبيل الحد من أفعالها من ناحيـة أخرى ، فهى تقيم الآن وحيدة وسط أشد الظروف قسوة ، انها تقيم فى زنزانة سدت معظم فتحاتها بالأسمنت ، وليس لديهـا ماء أو هواء أو فراش أو ملابس ، وهى لا تهبط الى الفناء أبدا ، وهى محرومة على الدوام من تلقى الزيارات أو هدايا الحلوى وحتى من شراء شيء من الكانتين، والنتيجـة أن ليس لديهـا ماتأكله سوى تعيين السجن ، وكثيرا ماتقذف به على حائط الزنزانة التى تنبعث منها الروائح الكريهة على الدوام ..

« انه لشيء فظيع أن يشهد المرء انسانا يتعذب بهذه الطريقة »

واذن ، بصرف النظر عن كونها مذنبة أم لا ، وبصرف النظر عن أنها عذبت أم لا ، وبصرف النظر عن أنها عوملت معاملة شاذة أم لا ، وبصرف النظر عن كونها مجنونة أم لا ، فان جميلة بوعزة لايمكن أن تسمع أقوالها مرة أخرى بدون أن تخيم الشبهات والشكوك على اجراءات المحاكمـة كلهـا ، وبذلك تحوم الشكوك حول اتهام جميلة بوحريد .

ولم تسمع أقوال جميلة بوعزة مرة أخرى

ان فحص حالتها العقليـة لم يكن كاملا ، لأن أي فحص جدى ،

على حد قول الطبيب المنتدب لفحصها ، كان لابد أن يكون قاسيا على كيس نقودها ، فهل كانت قيمة عقلها أقل من قيمة كيس النقود ؟ ..

ولقد عاد محاميها مسيو كينيج فطلب فحصا آخر لقواها العقلية

ولئن كانت مصدر الاتهام الوحيد لجميلة بوحريد قد أعلن أنها فاقدة العقل ، لكانت جميلة بوحريد قد أفادت ، وهى على قيد الحياة ، من الغاء التهمة ، وهو ما لم يفد ريموند بيشار الميتة فى شىء ، ولكان لابد من اعادة التحقيق كله

ولكن قاضى التحقيق لم ير مايستحق الرد فى طلب المحامى

ومع ذلك ، فمن خلال جنون جميلة بوعزة ، ومن خلال النزاهة التى توخاها طالب ، ومن خلال الحذر الذى التزمه الطبيب ، ومن خلال ألاعيب القاضى ، من خلال هذا كله ، لم يكن هناك مايستطيع أن يحجب الحقيقة ... أن جميلة بوحريد بريئة

ومن الناحية الأخرى لاتزال حوادث الارهاب تقع فى الجزائر ، ولايزال المتطرفون يطالبون بالرؤوس ، يطالبون بها بالجملة ، كما فعلوا فى حوادث الشنق التى جرت يوم ١١ يونيه ، وفى المذبحة التى وقعت فى شارع رويسو ، وهكذا كان مطلوبا - لتهدئة غضبهم واراحة ضمائرهم - أن تعقد محاكمة حقيقية بكل تدابيرها الموقرة

ولو خلت من المعـانى ، على أن تنتهى باعـدام أحد السجنـاء فى صباح أحد الأيام

انتهى التحقيق يوم ٢٩ يونيه ، وحدد لبدء المحاكمة ، التى كان منتظرا أن تبدأ فى شهر سبتمبر يوم ١١ يوليو

وكانت جميلة بوحريد مقدمة للمحاكمة من أجل التهم الآتية :

« احراز مفرقعات ، شروع فى قتل ، اشتراك فى حوادث قتل ، وفى حوادث شروع فى قتل ، تدمير المبانى بالمفرقعات والاشتراك فى حوادث مماثلة ، الانضمام الى جماعة من القتلة »

وهى معرضة للموت على خمس من التهم ، وقد خيل اليها فى اليوم السابق على المحاكمة أن فى استطاعتهـا أن تطلب من زميلى وصديقى المحامى البارسى ايف أمبلار ان تقدم لمساعدتها ، ولكنك ياسيدى القاضى رفضت أن تمنحه أربعا وعشرين ساعة كان يطلبها بكل احترام ليتمكن من الاطلاع على ملف القضية

لقد قلت ياسيدى الرئيس ان هذه المحاكمة لابد ان تنتهى بأي ثمن قبل نهاية يوم ١٤ يوليو

على أنك لم تستطع أن تنهى القضية فى الموعد المحدد ، ولـكن الاستاذ أيف امبلار لم يطاوعه ضميره ، بعد هذا الرفض ، الى التقدم

للمحكمة فاضطر الى الانسحاب ، وهكذا كلف تسرعك جميلة بوحريد فقدان واحد من المدافعين عنها

ان أقل ما يكن قوله هو ان الدفاع لم يفد من اية معونة بذلت له سواء فى مسلك النيابة التى لابد وأن تكون قد لاحظت مدى نفاد صبرها أو فى مسلك الجمهور الذى لم تؤثر اهاناته للدفاع فى هدوئك مع أن تهديداته لم تمكن جميلة بوعزة من الادلاء بشهادتها

فأما المحاكمة الحقة فكانت تستلزم التأجيل لاستكمال التحقيق، فليس هنا سوى محضر واحد للبوليس ، بينما ادى الى عناد المحققين غير الرسميين بهم الى فشل شرحه مسيو طالبى نقيب المحامين فى أشد العبارات أسى

ما أعظم الربح الذى كانت الحقيقة والعدالة تحققانه لو أفلتتا من أيدى الجماهير الرؤوس التى لاتملكها

ولكنك رفضت تأجيل القضية لاستكمال التحقيق

ان المحاكمة الحقة كانت تستلزم اعادة فحص الحالة العقلية لجميلة بوعزة « المجنونة ذات الوجه الجميل » كما سمتها جريدة «صدى الجزائر» ، وقد نشرت الصحف عن مسلكها أنها «رثة الملابس

منفوشة الشعر ، مضحكة مسكينة ، سليطة صبيانية »

لقد توسل اليك النقيب طالبى أن تترك للمختصين مشكلة حل أسرار هذه الفتاة الشابة

بل ان هيئة الدفاع كلها تضامنت فى تعقب الخطوات التى اتخذها مدير السجن والطبيب والسجانات والسجينات فطلبت اعادة فحص جميلة بوعزة

أما النيابة فقد طلبت لها الاعدام

وأنت ، لقد رفضت اعادة فحص جميلة بوعزة

لقد اعترفت بأن جميلة بوعزة ليست سليمة العقل الى الدرجة التى تؤهلها لحضور الجلسة التى طردتها منها ، ولكنها سليمة العقل الى الدرجة التى تؤهلها للموت ، لانك اعلنت أنها مجرمة حتى قبل أن تصدر حكمك

( نشرت جريدة الجزائر أن جميلة بوعزة صرخت فى الجلسة قائلة : اننى امرأة ساقطة ، فرد عليها القاضى قائلا : ليس هذا مايستحق الفخر ، فانت على كل حال مجرمة ، وكل ماتفعلينه أو تقولينه ليس الا من قبيل الادعاء والتمثيل )

وقبل أن تتجرد جميلة بوعزة من ملابسها أمام رجال البوليس ، اتسع الوقت أمامها ، وهى تلف حزامها بعصبية حول سبابتها ،

لتؤكد كل ماقالته مما يدينها ويدين ـ بصفة خاصة ـ جميلة بوحريد ، وذلك بأصوات لا تعدو الهمهمة ، ولكنك اعتبرتها اعترافات كاملة ! !

ان المحاكمة الحقة كانت تستلزم سحب وثائق التحقيق الذى قامت به سلطات غير مختصة ، لأنها وثائق تلطخها الدماء ، ولكن على العكس من هذا ، كان لابد من الاعتماد على هذه الوثائق ، لو كان فى النية أن تنتهى يوم ١٤ يوليو وبأي ثمن محاكمة تقوم فيها جميلة بو حريد بالدور الرئيسى بينما تعد ادوار الآخرين كلهم ادوارا ثانوية

ولكنك رفضت أن تسحب من الملف أوراقا دونت نتيجة للتعذيب

وعلى اثر هذا طلبت أن يضم الى الملف الخيالى عن قضية القنابل ، ملف آخر حقيقى ، هو ملف التعذيب الذى تعرضت له جميلة بوحريد ، حتى يلقى أحدهما الضوء على مدى صحة الآخر

ولكن قوميسير الحكومة لم ير أية صلة بين الملفين

وهكذا رفضت أنت اضافة ملف التعذيب الذى تحملته جميلة بوحريد الى ملف القضية .

ان المحاكمة الحقة كانت تستلزم عرض التوقيع المنسوب لجميلة

بوحريد على المحضر الأصلى للتحقيق والذى لم يظهر الا أخيرا ، المحاكمة الحقة كانت تستلزم عرض التوقيع على خبير فقد اعترضت عليه جميلة ولم تعترف به

وأنت لا تنكر أن هذا التوقيع مختلف كل الاختلاف عن توقيعاتها على الأوراق الاخرى المرفقة بملف القضية والتى صدرت منها هى، ومختلف كذلك كل الاختلاف عن توقيعاتها على الخطابات التى أرسلتها الى وهى تحت تصرفك

وتزوير كهذا يستلزم تأجيل القضية وبدء تحقيق جديد أعظم خطورة .

ولقد قاطعتنى وأنا أشرح هذا الأمر وأعلنت رفضك عرض التوقيع المنسوب لجميلة بوحريد على خبير فى الخطوط لفحصه

ولن يعلم أحد من هو الشخص الذى زور التوقيع

وحين سقطت جميلة بوعزة على مقعدها تعبا ووهنا ، كما قالت جريدة صدى الجزائر ، قالت لك انهم دأبوا فى السجن ، منذ اليوم الثانى من ايام المحاكمة ، على اعطائها حقنا فى الصباح وفى الليل ، حتى لقد حطموا روحها فلم تعد تشعر بأنها كما كانت ، تقدمت أنا وزملائى ، ونحن ندرك تماما مانقول ، بطلب فحص دمها فورا ، ولقد

أخبرتنا زميلاتها فى السجن وسجاناتها أنهـا تتناول حقنا مخدرة ، ولاشك ان رفض هذا الطلب يبدو ، أمام الرأي العام ، بمثابة الاعتراف بصحة ماحدث ، ولكنك مع ذلك رفضت الطلب ولن يعلم أحد هنا أيضا من الذى كان مسئولا فيما بين ١٢ ، ١٥ يوليو عن الانهيـار التام الذى حدث لجميلة بوعزة

وفى نهاية التقرير الذى رفعه جورج فرنان الضابط القضائى الى رؤسائه يوم ٢٥ أبريل ، اعترف بأنه « ما من برهان يثبت » التهمة الموجهة الى جميلة بوحريد ، وهكذا لم يصل التحقيق ، وقد خلا من أي برهان ، الى أية نتيجـة ، بل على العـكس من هـذا بدت اعترافات طالب وجميلة بوحريد لا تحمل أكثر مما تعنى كلماتها ، فقد صـدرت نتيجـة للكابوس نفسه الذى ذهب بحيـاة ريموند بيشار من قبل .

أما جميلة بوعزة فقد وجهت القضية وجهة مغايرة لهذا تماما

واذ رفضت أنت اعادة فحص جميـلة بوعزة ، كنت بهذا تخلع حمايتك على الافتراضات الواهنة التى تضمنها ملف القضية

ومن المستحيل ، كما أنه فظيع ، أن يضطر المرء الى اعتقاد أنك فعلت هذا ليتيسر لك ، تحوطك ظلال الشكوك ، أن تحكم بالاعدام على جميلة بوحريد .

*****

ولا يبقى بعدئذ من قائمة الاتهامات السبع الموجهة الى جميلة بوحريد سوى تهمة انضمامها الى «عصابة المجرمين» وهو التعريف الذى استعملته المحكمة لجبهة التحرير الوطنى

لم تحاول جميلة بوحريد أن تنفى أنها ظلت عضوا فى الجبهة لمدة أربعة شهور

فأما تقرير البوليس الذى يزعم فى سطرين من سطوره انه يمسك بكل عناصر مصير جميلة بوحريد ، هذا التقرير يعد فضيحة لا تماثلها الا فضيحة ملف القضية الذى يحتويه ، ان جميلة بوحريد ليست رهينة وانما هى انسان آدمى يستحق الحماية من عواء الجماهير ، ولهذا ألقيت على عاتقك مهمة محاكمتها ، ولهذا السبب يتعين عليك أن تعرفها أولا

بينما كانت جميلة بوحريد طالبة فى مدرسة شارع ديفان أو فى مدرسة شارع روفيجو ، كانت جميع الأنباء الصحيحة والكاذبة وجميع الاشاعات المحزنة تبلغ أذنيها ، وكذلك كانت جميع متاعب شعبها تعذب روحها ، وفى الشتاء الماضى انضمت جميلة الى الجبهة

وفى الوقت نفسه غادرت ثلاث فتيات أخريات مدرسة «باستور» ومستشفى «مايو» ليعملن ممرضات فى صفوف قوات الجبهة ، وفى ٢٥ أبريل حكمت عليهن محكمتكم بالسجن خمس سنوات ، وهؤلاء

الفتيات الثلاث من الجيل نفسه الذى تنتمى اليه جميلة بوحريد

استمع الآن الى حججهن :

تقول الأولى « يجب الا توجه الي اي سؤال ، فهل من المعقول أن يسأل أحدهم فتاة جزائرية لماذا تؤدى واجبها ؟ ان جريمتى الوحيدة ، وأنا ممرضة ، هو اننى بذلت عنايتى للجرحى من المحاربين ، وهم ليسوا مجرمين، ولكنهم رجال تسيئون الحكم عليهم لأنكم لاتعرفونهم حق المعرفة

« هؤلاء رجال ذوو كرامة تستطيعون ، اذا أردتم ، أن تقيموا معهم صرح صداقة فرنسية ـ جزائرية حقة »

وتقول الفتاة الثانية « لقد قررت بمطلق حريتى أن أنضم الى جبهة التحرير الوطنى لأننى لم استطع أن أظل أحيا وسط الذل والعار ... لقد بذلت عنايتى للجرحى الوطنيين وللاجئين الى الجبال ، ولمن عض الجوع بنابه فى أجسادهم ، ولضحايا الضرب بقنابل الطائرات والحرائق التى تشعلها ، اننى لم افعل اكثر من واجبى للجزائر ، وقد فعلته وأنا مدركة ...

« اننى لم أقم بشىء ضد فرنسا »

واسمعوا الآن صوت جميلة بوحريد : « ان ميشيل فيشون الذى قتل بقنبلته فى العام الماضى خمسين مسلما فى حي القصبة لم يتعرض لأية عقوبة ، ولكنكم ، وقد وقعت بعض الحوادث التى أفلت منكم فاعلوها ، لابد أن تذيقوا الموت لأي كان من المسلمين ،

وانها للصدفة التى جعلتنى ألتقى بالجنود فاختارونى أنا لهذا الدور، ومع ذلك فلئن كنت خصما للاستعمار فلست خصما لفرنسا »

لقد تخلت جميلة بوحريد ، الشابة التى لم تتخط ربيعها الثانى والعشرين ، عن كل شيء « لتكون جديرة بالتقاليد التى أرساها عبد القادر » ( الأمير عبد القادر الجزائرى الذى جاهد وكافح الاستعمار الفرنسى لبلاده )

وحتى هذه التقاليد ليست ضد فرنسا

ولكم أن تقدروا ، بضمائر حية ، كم من السنوات يستغرقها مثل هذا القرار .

الجزائر فى ١٤ — ١٥ يوليو سنة ١٩٥٧

وحين قرىء على جميلة بوحريد حكم الاعدام لم تملك سوى أن تضحك ..

وصرخ القاضي في وجهها « لا تضحكي ، في موقف الجد »

ان هذا القاضي محق ، في ان المسألة جدية ، فهناك حكم صدر

ولقد أصدرت محكمة النقض قرارا استثنائيا اقرت به قرارا اتخذته المحكمة العسكرية العليا بأن هذه الأخيرة هى الوحيدة المختصة بتأييد أو بتعديل الأحكام التى تصدرها المحاكم العسكرية المختلفة ، وفي يوم ٨ أغسطس أصدرت المحكمة العسكرية العليا قرارا يتضمن أن كل ماتتخذه جهات التحقيق العسكرية أو المحاكم العسكرية يتمشى مع العدالة

وكانت هناك نقطتان كانتا محل الاعتراض ولكن قضاة النقض لم يقتنعوا باي منهما : فقد قيل لهم ان جلسة المحاكمة التى عقدت في ليل ١٣ - ١٤ يوليو ، لم تكن جلسة علنية كما يتطلب القانون ، وذلك بسبب أمر منع التجول ، فلم يحضرها سوى جنود المظلات ، ولكن القضاة لم يروا في هذه النقطة شيئا ذا قيمة ، فان أبواب القاعة ظلت مفتوحة وهو مايكفي لخلع صفة العلنية على الجلسة ،

فأما استحالة وصول الجمهور الى هذه الأبواب فليست عاملا أصيلا فى المسألة

ونصيحتى للسلطات الحاكمة أن تعمد ، كلما كان لها أن تقاضى انسانا ما لتصدر عليه حكما ما ، الى محاكمته فى قاعة لا تغلق أبوابها ( والا كان ذلك أمرا مخالفا للقانون ) وانما يدبر كوردون من الجنود حول المحكمة فلا يدخلها أحد

والنقطة الثانية التى كانت محل اعتراض ولم يقتنع بها القضاة ، خاصة بحرمان الدفاع من المرافعة ، وقد تقدم قوميسير الحكومة لمحكمة النقض بحجة يؤسفنى أن أعترف بأنها أدت الى النتيجة التى كان يطلبها ، وهى أنه قال للمحكمة ان وقت « المجلس الحربى » قصير فلم يكن هناك مانضيعه فى الاستماع للمرافعات .

**اننى** أعلم أن هناك من سيدعون أن اقوالى هذه ما هى الا دفاع عن براءة الاشخاص الذين ارتكبوا حوادث القنابل ، ولئن كنت أعنى بأن أقيس تعقيبى بما يراه هؤلاء الذين يسهل عليهم الخلط بين الغث والسمين لكنت قد توقفت عند كلمات القاضى : انها لمسألة جدية

وهى حقا مسألة جدية فيما يختص بممارسة العدالة بنزاهة وتعقل ، ويبدو أنه من بين المسائل العديدة التى نشأت من الحكم على جميلة بوحريد بالاعدام ، يبدو أن أقل هذه المسائل أهمية كانت مسألة براءة جميلة من التهمة التى حكم عليها بهذا الحكم من أجلها ، ان كانت ذات أهمية على وجه الاطلاق ، والواقع أن قرار القاضى بارسالها الى المقصلة لم يكن قرارا مشوها من ناحية العدالة فحسب ، وانما لم يكن بينه وبين العدالة أية صلة .

فهل تقطع هذه الرقبة باسم الشعب الفرنسى ؟ وهل يسجل هذا الاعدام ويضاف الى الذكريات غير المحتملة التى تحملها كل أمة

على أكتافها خلال عصور التاريخ ؟ هل يسجل هذا اليوم بالنسبة للفرنسيين، اليوم الذى يسمحون فيه بارتكاب آخر وأعظم ماارتكبوه من خطايا فى الجزائر ؟

يجب ألا تعدم جميلة بوحريد

فان من السخف أن نقدم بأيدينا لشعب يكافح من أجل حريته أفضل رمز يؤلب علينا الرأي العام العالمى ، وانه لشيء مريع أن نعمد نحن بهذا الى اغلاق الباب على آخر أمل لانشاء نوع من الصداقة الفرنسية ـ الجزائرية ، انه ليكون فظيعا أن يتعلم أطفال أفريقيا فى المدارس الاسلامية فى المستقبل كراهية فرنسا حين يسمعون التصريح الذى القته جميلة بوحريد فى وجه قضاتها قبيل اختتام محاكمتها :

« أيها السادة ، اننى أعلم أنكم ستحكمون علي بالاعدام ، لأن اولئك الذين تخدمونهم يتشوفون لرؤية الدماء

« ومع ذلك فأنا بريئة

« ولقد استندتم فى محاولتكم ادانتى الى أقوال فتاة مريضة رفضتم عرضها على طبيب الأمراض العقلية لسبب مفهوم ، والى محضر تحقيق وضعه البوليس ورجال المظلات وأخفيتم أصله الحقيقى الى اليوم ، والحقيقة أننى أحب بلدى وأريد له الحرية ، ولهذا أؤيد كفاح جبهة التحرير الوطنى

« أنكم ستحكمون على بالاعدام لهذا السبب وحده بعد أن عذبتمونى ، ولهذا السبب وحده قتلتم اخوتى بن مهيدى وبومنجل وزضور

« ولكنكم اذ تقتلونا لا تنسوا أنكم بهذا تقتلون تقاليد الحرية الفرنسية ، ولا تنسوا أنكم بهذا تلطخون شرف بلادكم ، وتعرضون مستقبلها للخطر ، ولا تنسوا انكم لن تنجحوا أبدا فى منع الجزائر من الحصول على استقلالها » .

**فحصت** جميلة بوحريد فى سجن الجزائر المدنى فور رفع اجراءات السرية فيما يختص بها ( فى الأيام الأولى من شهر مايو سنة ١٩٥٧ ـ ١٦ مايو على وجه التحديد ) وشهدت مايلى :

« ١ ـ على الثدي الأيسر ، جرح بيضاوى غير منتظم من ٤ـ٥ سم طولا ، ٣ سم عرضا ، وكان الجرح يلفظ صديدا أبيض بدا لى أن مصدره عادى .

« ٢ ـ فى منتصف الكتف الأيسر ، ندبة جرح أوشك على الالتئام وعلى أطرافه آثار الخيوط الجراحية

« ٣ ـ عجز فى الجزء الأعلى من الذراع اليسرى : كانت تحركات الذراع سواء الى الأمام أو الى أعلا فى حدود ٣٠ درجة فحسب ، أما تحركات الكوع فكانت متوقفة تقريبا فى وضع عمودى بالنسبة لأعلا الذراع

« ٤ – صعوبة فى حركة الذراع كلها ، بينما كانت راحة اليد تميل للزرقة وحرارتها مرتفعة

« ٥ – ارتعاش شديد فى اليد لدى أية محاولة لتحريكها

« ٦ – بثور بنية كثيرة حول حلمتي الثديين ، ويبدو أنها من تأثير حروق أصابتهما

« ٧ – علامات بنية مستطيلة على الردف الأيمن وعلى الجانب الخارجى للفخذ اليسرى يبدو أنها كذلك من أثر حروق

« ٨ – تصلب أبيض بداخل الشفة الداخلية اليسرى للعضو التناسلى ».

***

« وعلى أساس هذه المشاهدات أورد الملاحظات التالية :

« ١ – ان مكان وشكل جرحي القفص العظمى للصدر يدلان على أنهما الجرحان اللذان نتجا من نفاذ الرصاصة التى أصيبت بها جميلة ومن جراحة اخراجها

« ٢ – هناك على الأرجح شرخ فى عظم الكتف ولابد من فحصه بالأشعة للتأكد

« ٣ – يبدو ان الجرح المفتوح على الثدى الايسر تعرض لمضاعفات أخرى لأن آثار ( غرز ) الخياطه غير ظاهرة كما أن الجرح

نفسه اتسع بطريقة غير عادية وتلوث بالجراثيم

« ٤ ـ يبدو أن العجز الذى أصاب الذراع اليسرى نتج من اصابة الأعصاب فى طريق نفاذ الرصاصة من الكتف الى الصدر ، ويحتمل أن تشفى حالة الذراع ولكنى أنصح باعادة فحص الأعصاب والعضلات ..

***

« وقد صرحت لى جميلة بوحريد بأنها أصيبت بطلقة رصاص حين اعتقلت ، وهو مايؤيد المشاهدات التى دونتها هنا

« وفضلا عن هذا ، أكدت جميلة أنها ضربت واحرقت بالتيار الكهربائى عند موضع جرح الكتف ، وكذلك ـ طبقا لكلامها ـ استخدمت الكهرباء فى احراق ثدييها وردفها الأيمن والجانب الخارجى من فخذها الأيمن وكذلك فى فتحة عضوها التناسلى

« ان مظهر التسلخات التى شهدتها يؤيد نظرية السبب الذى قدمته المتهمة لهذه التسلخات

« ولقد قالت لى جميلة بوحريد أيضا انها يوم عذبت كانت حائضا، ونتيجة للتعذيب أصيبت بنزيف دموى حاد ، ثم انقطع الحيض فجأة ليحل محله صديد ملوث لمدة خمسة عشر يوما

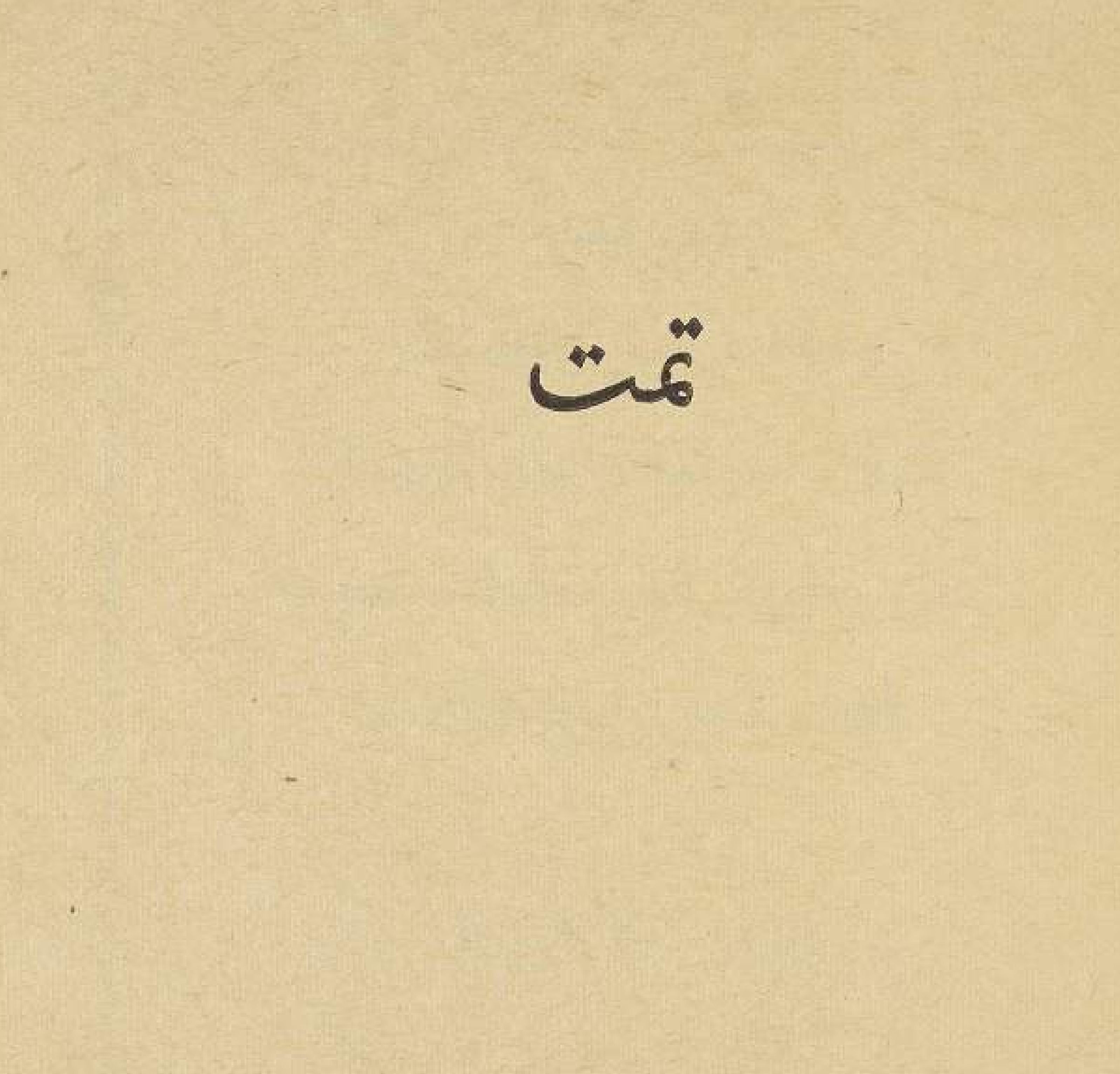
***

« ويبدو لى أن الحالة العامة لجميلة بوحريد قد تغيرت ، فقد لاحظت أن وجهها اغضن وضمر بينما هبط وزنها كثيرا

« واذا لم تحدث مضاعفات لذراعها اليسرى فستظل عاجزة عن الحركة تماما مدة شهرين على الأقل

« ولابد من فحصها بعد فترة أخرى لتحديد ماذا كانت ستترتب على هذا عاهة مستديمة للذراع اليسرى، ولابد من أن تحصل الفتاة أو من يمثلها حينئذ على شهادة بنتيجة هذا الفحص » .

**جانين بالخوجه**
**طبيبة**



تمت

مطابع دار أخبار اليوم

ما من أحد يملك أن يتجاهل هذا النداء الموجه الى الضمير

جورج براد شى

جريدة « تريبون دى جنيف » السويسرية

◎

ان التقارير الطبية ، ولهجة الشكوى ، وتطور القضية ، وهذا الكتاب ، لا تترك مجالا للشك ... فلا القلب ولا أبسط قدر من الخلق يسمح بهذا ... وعلى أولئك الذين لا يفهمون لغة القلب أو الخلق ، عليهم أن يستمعوا للغة العقل .

أندريه فروسار

جريدة « لورور » الفرنسية

◎

لقد تجنب مؤلف هذا الكتاب استخدام العبارات الزائفة ، فان لغته دقيقة ، وما هو الا كتاب صغير ولكنه مشتعل اللفظ بلهيب المعنى .

بيير جاماراه

مجلة « لى ليتر فرانسيه » الفرنسية

الثمن ١٠ قروش